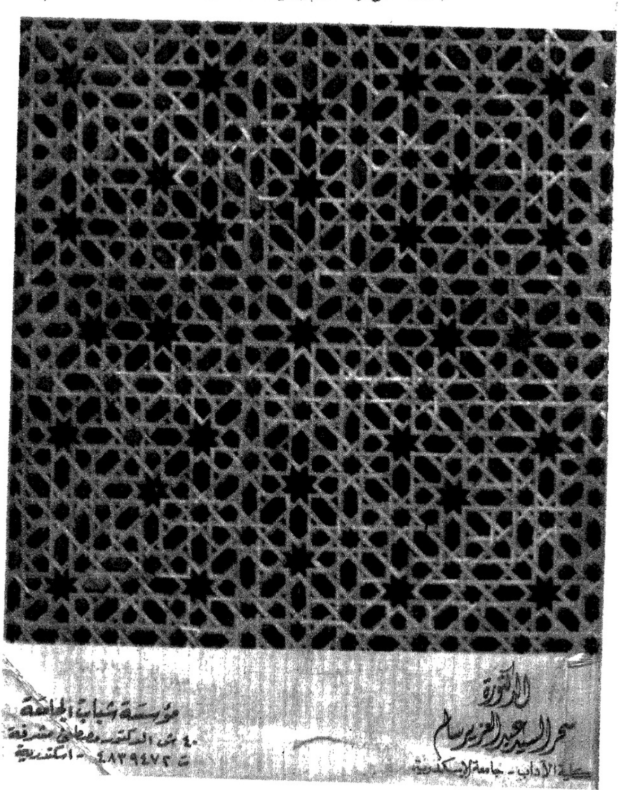
مدينة قادس ودورها في التاريخ السياسي والحضاري

(للأندلس في العصر الإســـلامي)



الدكتورة
سحر السيد عبد العزيز سالم
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

مؤسسة شباب الجامعة
٤٠ ش الدكتور مصطفى مشرفة
ت ٤٨٣٩٤٧٢ - اسكندرية

مدينة قادس ودورها في التاريخ السياسي والحضاري

مدينة قادس ودورها في التاريخ السياسي والحضاري

(للأندلس في العصر الإسلامي)

الدكتورة
سحر السيد عبد العزيز سالم
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

١٩٩٠

مؤسسة شباب الجامعة
٤٠ ش. الدكتور مصطفى مشرفة
ت ٤٨٣٩٤٧٢ - الإسكندرية

اهـــــداء

الى ابنتى الحبيبــة لــؤلؤ.

اليك يامن زودتنى بحبك الفياض ، وحنانك المتدفق ، وضمـات صدرك الصغير ، بطاقات هائلة من العزيمة والارادة والامـل ...

اليـك يامن منحتنى بلمسات كفك الطاهـر ، وبسمـات وجهك الصبوح ، ونظرات عينيك البريئـة شحنـات من الرغبة فى العطـاء والبذل ..

مقـــدمـــة

كان لموقع الجغرافى والاستراتيجى الهام الذى تتمتع به قادس فى أقصى الطرف الجنوبى من شبه جزيرة الأندلس أعظم الأثر فى الدور التاريخى المتميز الذى قامت به منذ العصر اليونانى وعبر حقب التاريخ كقاعدة بحرية ومركز تجارى رئيسى فى جنوب الأندلس ، ومع ذلك فـان هذه المدينة العريقة لم تحظ حتى اليوم بما تستحقه من دراسات ، لاسيما فى العصر الاسلامى موضوع هذا البحث ، ربما لصمت المصادر العربية عن الاشارة اليها فى جملة وقائع التاريخ الأندلسى ، ولخلو كتب التراجم من أسماء شخصيات قادسية بارزة فى مجال الفقه ومختلف فروع المعرفة فى الوقت الذى افاضت وفصلت بالنسبة لمدن الأندلس الأخرى ٠ وكل ما وصلنـا عنها من بحوث فى العصر الاسلامى لايتجـاوز بحثـا وحيدا ومختصرا للدكتور بدرو مرتينث منتابث عنوانه :

Pedro Martinez Montavez, Perfil del Cadiz hispano arabe

أصدره المعهد الاسبانى العربى للثقافة فى مدريد منذ سنوات ، أهتم فيه المؤلف بوصف أبرز معالم قادس التاريخية القديمة فى العصر الاسلامى ، مثل منار قادس وصنمها وجسر المياه والقنطرة ٠ امـا فيما عدا ذلك مما كتب عنها فلا يتجاوز صفحة او أكثر بدائرة المعارف الاسلاميـة ، وحتى ما ورد فى المصادر العربية الجغرافية لايعدو نبذا قصيرة ، معظمها فى وصف آثارها القديمة ٠ وقد تساءلت عن السبب فى قلة مازودتنا بـ المصادر العربية من معلومات عن هذه المدينة العريقة ، وظننت فى البداية أن مرجع ذلك أن هذه المدينة ، لموقعها المتطـرف فى جنـوب غربى الأندلس ، وتعرضهـا لغـارات النورمنديين فى عصر الدولـة الأمويـة بالأندلس ، وللصراعات الطائفية المختلفـة زمن دويلات الطوائـف ، واحيانا لمرور الحملات الصليبية القادمة من أوروبا الغربية فى طريقها الى بلاد الشام على سواحلها ، أو لبعدها بعض الشىء عن ساحل العدوة ،

او لفقر ارضها من الثروات الطبيعية العديدة التى حبا بها الله مدن الأندلس الأخرى ، لكل ذلك لم تكن مركزا حضاريا متالقا كغيرها من مدن الأندلس الجنوبية مثل قرطبة واشبيلية والجزيرة الخضراء والمرية ومالقة وجيان وبطليوس وشلب وشنتمرية الغرب ، وبالتالى لم تكن منتجعا للعلماء وطلاب المعرفة ممن حفلت كتب التراجم بأسمائهم وأخبارهم ، وأفاضت فى ذكر مآثرهم . ولكن تبين لى أن ما تعرضت له من اعتداءات خارجية وصراعات داخلية لايقاس بما تعرضت له مدن أخرى معاقبة لها ، أطنبت المصادر العربية فى ذكرها ، وفصلت فى سرد أخبارها ، ونوهت بالحديث عن علمائها ومشاهير رجالها .

ولهذا فانني اعتقد ان التفسير الامثل لقلة ما وصلنا من اخبار عنها ، انها اشتهرت بصنمها الذى كان قائما بأعلى منار يشبه منار الاسكندرية ، وزعموا ان لهذا الصنم الذى يمثل هرقل قدرات تفوق قدرات البشر وطلاسم ، منها انه اذا ماهدم استولى النصارى على بلاد الأندلس ، أو أن من يقدم على هدمه يموت قتيلا ، أو انه اذا سقط أحد المفتاحين من يده كان ذلك نذيرا بخراب الأندلس ، وربما كانت لهذه الاعتقادات التى راجت بين سكان الأندلس الجنوبية أثر كبير فى نفورهم من النزول بهذا الموضع أو الاستقرار فيه ، كالشأن فى مدينة طالقة Italica التى كانت خرائبها وتماثيلها من الكثرة بحيث عدت حقلا خصبا للأصنام ،يتخذها أهل الأندلس لتزيين بوابات مدنهم أو حماماتهم، ومن أمثلة ذلك تمثال الزهراء الذى كان يعلو الباب الرئيسى لمدينة الزهراء وكان يمثل فينوس اليونانية ، وتمثال الصاحبة الذى كان يتوج باب القنطرة بمدينة قرطبة ، والتمثال الذى كان يعلو أحد ابواب بجانة ، وتمثال العقاب بأعلى أحد أبواب المرية ، وتمثال الشطارة بأحد حمامات اشبيلية (١) ، ومصدر هذه التماثيل فيما نعتقد خرائب طالقة ،

---

(١) عن هذا الموضوع انظر : السيد عبد العزيز سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة فى الأندلس ، ج١ ، الاسكندرية ١٩٨٤ ص ٢٣٦ ، ٢٣٧ .

ولم نسمع لذلك عن أحد علماء الأندلس ينسب الى طالقة . وربما كان انفصال قادس كجزيرة فى البحر المحيط تجاه ساحل الأندلس الجنوبى ، وعدم ارتباطها بهذا الساحل لفترة طويلة عاملا أساسيا فى زهد الناس عن قصدها والاقامة فيها ، وانصرافهم عن اتخاذها مركزا علميا يتردد عليه طلاب العلم والمعرفة ، فلما تهمم بها ملوك قشتالة بعد استيلائهم عليها ، واهتموا بتعميرها بعناصر اسبانية مسيحية ، وربطوا بينها وبين البر ، واسسوا العديد من المنشآت ،وزودوها بأرباض خارجية مثل ميناء سنتا ماريا El Puerto de Santa Maria وجزيرة سان فرناندو San Fernando ، بدأت تتألق فى التاريخ من جديد وتستعيد مجدها الغابر كقاعدة بحرية ومركز تجارى هام فى هذا الصقع من أرض الأندلس ، وارتبطت بخط ملاحى مع جزر كناريـاس (الجزائر الخالدات) .

ومن الطريف حقا التشابه الكبير بين قادس والاسكندرية فى تخطيطهما العام وفى المنار الذى ينتهى من أعلى بتمثال ، فقد كانت كلتاهما جزيرة ارتبطت بالبر وأصبحت شبه جزيرة ، وكان منار قادس صورة مصغرة من منار الاسكندرية (١) ، وربما كان ذلك من الأسباب التى حملتنى على اختيار موضوع قادس موضوعا لهذا البحث . وقد رأيت أن أكتب فى تاريخ هذه المدينة منذ الفتح الاسلامى للأندلس فى سنة ٩٢هـ حتى سقوطها فى أيدى القشتاليين ما بين عامى ٦٥٣ ، ٦٥٨هـ ، مستهدفة تسليط بعض الضوء على دورها التاريخى فى هذه المرحلة من التاريخ ، وهو دور كان يبدو باهتا تماما فى المصادر العربية طوال العصر الاسلامى ، وقد عانيت كثيرا فى تحصيل بعض المعلومات عنها

---

(١) الزهرى ، كتاب الجغرافيا ، تحقيق محمد حاج صادق ، دمشق ١٩٦٨ ، ص ٩٠ ، وانظر السيد عبد العزيز سالم ، تأثير منار الاسكندرية فى عمارة بعض مآذن المغرب والأندلس ، مجلة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية ، مدريد ١٩٨٦ عدد ٢٣ ص ١٨٤ .

من بطون المصادر المختلفة ، وهى معلومـات شحيحة لاتعدو اشارات متناثرة ربما استطعت ان استنبط منها بعض الحقائق المفيدة واعتمـدت على منهج يقوم اساسـا على الدراسـة الدقيقـة للنصوص التاريخيـة والجغرافية وتحليلها ، واستطعت فى النهاية أن اقدم هذا البحث الذى ارجو ان اكون قد أوفيته حقه من الدراسة ، والله ولى التوفيق .

الاسكندرية أكتوبر ١٩٨٩ **سحر السيد عبد العزيز سالم**

الفصـــل الأول

التعريـــف بقــادس

(١) جزيرة قادس : الاسم والموقع والاقليم

(٢) وصف جزيــرة قادس

(٣) اهم معالم قادس وآثارها القديمة

أ ـ جسر الميــاه
ب ـ الجباب والصهاريج
ج ـ منار قادس وصنم هرقل

الفصـــل الأول

التعريف بقــادس

(١)

جزيرة قادس : الاسم والموقع والاقليـم

قادس Cadiz مدينة اندلسية موغلة فى القدم من بناء الأوائل ، أسست زمن الفينيقيين فيما يقرب من عام ١٥٠٠ ق٠م ، وقيل فى حدود سنة ١٢٠٠ ق٠م٠ على أسس محلية سابقة على الفينيقيين ([١]) ، ولذلك فهى تعد على حد قول أويثى ميراندا A. Huici Miranda أقــدم مدينة فى الغرب ([٢]) ، وكانت تعرف زمن الفينيقيين باسم كادير او جادير Gadir ، ومنها اشتق اسمها اليونانى الذى حرفــه الرومـــان الى جادس Gades ، ثم تحول بعد ذلك الى قادس ٠

وكانت قادس فى العصر اليونانى القرطاجنى أهم مدينة فى شــبه جزيرة أيبيريا الى ان نجح الرومان فى انتزاعها من أيدى القرطاجنيين سنة ٢٠٦ ق٠م ٠ ، ثم أصبحت منذ عام ١٩٥ ق٠م مدينة حرة للتجارة ، ومنحت امتيازات اخرى ٠ وفى ســنة ٤٩ ق٠م زارهـــا يوليوس قيصر

---

(١) Cadiz, Coleccion España en Paz, P. 13.

(٢) Huici Miranda (Ambrosio), Encyclopedia of Islam, Art. Kadis P. 383.

ويذكر المقرى ان أول منطقة عمرت بالسكان فى الأندلس كانــت جزيرة قادس ، « فدخل اليها بعد اقفارها تلك المدة الطويلة قوم منهم أجلاهم ملك افريقية تخففا منهم لامحال توالى مع أهــل مملكته ، وتردد عليهم حتى كاد يفنيهم ، فحمل منهم خلقا فى السفن مع قائد من قبله يدعى أبطريقس ، فأرسوا بريف الأندلس الغربى ، واحتلوا بجزيرة قادس ، فأصابوا الاندلس قد أمطرت وأخصبت ، فجرت أنهارها ، وانفجرت عيونها ٠٠٠ » (المقرى نفح الطيب من غصن اندلس الرطيب ، تحقيق محيى الدين عبد الحميد ، القاهرة ، ج١ ، ١٩٤٩ ص ١٣١) ٠

وسماها Augusta Urbs Julia Gaditana (٣) . ثم عاشت قادس بعد ذلك فترة من الزمان شملها الغموض دارت حولها مجموعة من الأساطير والروايات خاصة فيما يتعلق بتمثال هرقل أو صنم قادس على النحو الذى سنتعرض له فى الصفحات التالية ، الى أن دخلت فى فلك الاسلام ، وعندئذ بدأ اسمها يتردد بين الحين والحين ، واشتهرت بصنمها ذائع الصيت ومنارها القديم الذى لايذكر اسم قادس بدون ان يقترن بذكرها ، بحيث اصبحا اهم معالم هذه المدينة ، بل أصبح منارها يقارن بمنار الاسكندرية احد اعاجيب الدنيا السبعه . ومع ذلك فان قادس الاسلامية لم تصل الى المستوى الرفيع الذى وصلت اليه قرطبة زمن الخلافة الأموية ، أو اشبيلية فى عصر دولة الموحدين ،أو غرناطة فى عصر بنى نصر ، فلم تكن تستمد شهرتها من خلال تقدمها العلمى أو الاقتصادى ، اذ كانت عاطلة من كل هـذه المميزات ، ولكنهـا برزت باعتبارها قاعدة بحرية هامة بين القواعد البحرية المشهورة فى الأندلس فى العصر الاسلامى فى عصر دولتى المرابطين والموحدين (٤) .

---

(٣) Huici Miranda, op. cit., p. 383.

(٤) نستدل على ذلك من ظهور بنى ميمون حكـام قادس فى عصر دولتى المرابطين وبداية عصر دولة الموحدين كأسرة بحرية هامة فى كل من المرية وقادس (ابن الأبار ، الحلة السيراء ، تحقيق د. حسين مؤنس ، القاهرة ، ١٩٦٣ ج٢ ص ١٩٣ ـ أبو بكر بن على الصنهاجى المكنى بالبيذق ، كتاب أخبـار المهدى بن تومرت ، تحقيق عبد الحميد حاجيات ، الجزائر ، ١٩٧٤ ص ١٠٧ ـ عبد الواحد المراكشى ، المعجـب فى تلخيص أخبـار المغرب ، نشره الأستاذان محمد سعيد العريان ، ومحمد العربى العلمى ، القاهرة ١٩٤٩ ، ص ٢١٠ ـ ياقوت ، معجم البلدان ، مادة قادس ـ ابن الخطيب ، أعمال الاعـلام ، تحقيـق ليفى بروفنسال ، بيروت ١٩٥٦ ، المقرى ، نفح الطيب ، ج١ ص ١٥٧) . ويعبر ابن عذارى المراكشى عن المكانة السامية التى كانت تتبوأها بين مدن الأندلس الأخرى باعتبارها احدى القواعد البحرية الهامة فى عصر الموحدين ، وذلك فىسياق حديثه عن وقائع عام ٥٧٧، فيشير الى =

وقبل ان نبحث عن العوامل التى ساعدت قادس على تبوأ مركزها الرفيع كقاعدة بحرية هامة فى جنوب الاندلس تجدر الاشارة الى أن قادس وردت فى المصادر العربية الجغرافية والتاريخية على أنها

= ان الأساطيل الموحدية فى ذلك العام تجمعت بقادس ، ولما استكملت السفن اربعين قطعة نهضت جميعا جهة شلب حيث اشتبكت مع اسطول اهل اشبونة ، وانتصر الأسطول الموحدى فى هذه المعركة البحرية ، ويقول ابن عذارى : « وفى هذه السنة (٥٧٧هـ) كانت وقعة ايضا على النصارى فى البحر ، وذلك أن قائد سبتة عبد الله بن جامع وهو المولى عليها حين أسر غانم بن مردنيش خرج منها بالأسطول ، وخرج القائد ابو العباس الصقلى من اشبيلية بأساطيلها واجتمعوا جميعا بجزيرة قادس وقد استكملوا اربعين قطعة ، فنهضوا منها بجمعهم الى جهة شلب فالتقوا باسطول اهل اشبونة بالموضع الذى اسر فيه غانم بن مردنيش فى البحر وعكس فيه فى المنتصف من محرم من العام الفارط ، فالتقوا الآن فى الخامس عشر من محرم ايضا ، وهذا من أغرب الاشياء ، فنصر الله المسلمين فى هذا اليوم نصرا مؤزرا ... » (ابن عذارى ، البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب ، قسم الموحدين ، تحقيق محمد ابراهيم الكتانى وآخرين ، بيروت ، ١٩٨٥ ص ١٤٤) . واستمرت قادس تؤدى دورها كقاعدة بحرية أو مركز لتجمع الأساطيل الموحدية عند توجهها الى سواحل غرب الأندلس،وظلت تمارس هذا الدور حتى بعد سقوطها فى أيدى القشتاليين ، فبعد استيلائهم على جزيرة قادس اتخذت قاعدة بحرية ومنطلقا لشن الغارات البحرية على السواحل والثغور الاسلامية ويتمثل ذلك فى قول ابن عذارى : « فاقسم (ملك قشتالة عندما بلغه نبأ تغلب المرينيين على قواته فى سلا) ايمان كفره ليعاقبن اشياعه الخاسرة وليطيحن مقدمهم جوان غرسية على فعلته الصادرة ، فاتصل ذلك بجوان المذكور ففر فى ثلاثة قراقر الى الأشبونة ، فبقى مقيما بها ، ولم يرجع الى قادس حيث كانت تتجهز الأجفان المذكورة (التى كان قد اعدها الملك القشتالى لتكون مددا لقواته) الا نحو خمسة وعشرين جفنا وسائرها تفرق اى تفريق ... » (ابن عذارى ، المصدر السابق ، ص ٤٢٢) .

جزيرة (٥) ، فعرفت بجزيرة قادس (٦) ٠

---

(٥) يذكر الدكتور مؤنس أن هروشيوس ذكر قادس فى كتابه (كما ورد فى الترجمة العربية التى قام بها قاسم بن أصبغ للاصل اللاتينى) كجزيرة فى سياق حديثه عن صنم هرقل وحدود أوروبا ٠ فهروشيوس يرى أن آخر قسم من أوروبا فى الغرب بلد الأندلس Hispania والبحر المحيط ، وأقصى ذلك عند جزيرة قادس حيث صنم هرقل (انظر حسين مؤنس ، الجغرافية والجغرافيون ، ص ٤٢) ٠ وذكر هروشيوس أيضا أن «البلد الذى يدعى الأندلس جميعه محدق عليه الا قليلا بالحر المحيط والبحر المتوسط ، وهو بلد مركن ذو ثلاثة أركان ، فركنه الواحد يقابل الشرق ، فيما بين بلد اقطانية وبين البحر المتوسط مقابل جزيرة ميورقة ومنورقة ، ودناك يجاور بحر نربونة ٠ وركنه الثانى فيما بين الغرب والجوف بناحية مدينة برغنسية فى جليقية حيث الجبل العالى الذى فيه المنارة مقابل بلد برطانية ، وركنه الثالث بناحية جزيرة قادس بين الغرب والقبلة مقابل جبل افريقية المسمى اتلانتش » (أرجع الى : حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص ٤٨) ٠

(٦) ورد اسم قادس على أنها جزيرة قادس فى جغرافية الأندلس للبكرى (البكرى ، جغرافية الأندلس وأوروبا ، تحقيق د٠ عبد الرحمن الحجى ، ص ٧٠) ٠ ويصفها ابن حيان ، عمدة مؤرخى الأندلس بأنها جزيرة (ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق د٠ محمود مكى ، ص ٢٧٧) ٠ وكذلك يصفها الجغرافى الأندلسى مجهول الاسم وصاحب كتاب ذكر جزيرة الأندلس » بأنها جزيرة فى حلق وادى اشبيلية (مجهول ، ذكر جزيرة الاندلس ، ص ٦٥) ٠ ومن الجغرافيين الأندلسيين الذين أطلقوا عليها أيضا اسم جزيرة قادس الشريف الادريسى الذى ذكر هذا الاسم فى مواضع عدة من كتابه (الادريسى ، وصف المغرب وارض السودان ومصر والاندلس من كتاب نزهة المشتاق ، ص ١٧٤ ، ١٧٩ ، ٢٠٤) ، والحميرى فى الروض المعطار الذى ذكر أن طول جزيرة قادس من القبلة الى الجوف اثنى عشر ميلا (الحميرى ، الروض المعطار ، ص ٤٤٨) وكذلك فى سياق حديثه عن ثروة قادس النباتية (الحميرى ، المصدر السابق ، ص ٤٤٨ ، ص ٣٣ ، ٣٤) ٠ ومنهم ابن سعيد المغربى الذى وصف قادس بأنها جزيرة منقطعة فى البحر المحيط (ابن سعيد ، المغرب فى حلى المغرب ، تحقيق د٠ شوقى ضيف ، ج١ ، ص ٣٠٩) ومنهم المسعودى فى التنبيه والاشراف اذ يصفها بأنها =

ونتساءل هل كانت قادس كما ورد ذكرها في المصادر العربية «جزيرة» بالمفهوم الجغرافي لهذا المصطلح استنادا الى هذا العدد الكبير من النصوص الجغرافية والتاريخية أم انها كانتمجرد مدينة ساحلية يمتد عمرانها في عمق البحر متخذا شكل راس بارز على نحو يبرزها بوضوح عن سمت الشريط الساحلي مما اظهرها وكأنها شبه جزيرة اذا ماقورنت بغيرها من مدن الأندلس ٠

وقد فسر الدكتور محمود على مكى وصف الجغرافيين والمؤرخين العرب لهذه المدينة على انها جزيرة بالتفسير السابق ، فذكر انها كانت تطل على البحر المحيط على هيئة لسان ممتد في البحر بحيث تكون

= جزيرة ٠ (المسعودى ، التنبيه والاشراف ، طبعة بيروت ١٩٦٥ ص ٦٩) وينقل المقرى من كتب الجغرافية الاندلسية نصوصا تتعلق بصنم قادس ،منها ان قادس جزيرة ، يقول المقرى :«كان بنواحى غرب الأندلس ملك يونانى بجزيرة يقال لها قادس وكانت له ابنة فى غاية الجمال ٠٠٠» (المقرى ، نفح الطيب ، ج١ ص ٢٢٩ ، وأنظر نفس المرجع ص ١٣١) ويذكرها مرة أخرى على انها جزيرة فى جملة جزر الأندلس البحرية فيقول : « واما الجزر البحرية فمنها جزيرة قادس » (المقرى ، المرجع السابق ، ج١ ص ١٥٦) ومن مؤرخى الأندلس ممن أطلقوا عليها اسم جزيرة قادس ، ابن عذارى المراكشى الذى ذكرها بهذا الاسم فى حوادث عام ٥٧٧ هـ بمناسبة اجتماع عبد الله بن جامع قائد اسطول سبته ، مع القائد أبى العباس الصقلى قائد اساطيل اشبيلية بجزيرة قادس بقصد الخروج للجهاد (ابن عذارى ، البيان المغرب (القسم الخاص بعصر الموحدين) ص ١٤٤) وأورد هذا الاسم مرة ثانية فى معرض حديثه عن السيل الشنيع الذى هدد وادى اشبيلية فى عام ٥٩٧هـ (ابن عذارى ، المصدر السابق ، ص ٢٣٩) ٠ وأورده مرة ثالثة فى اشارة عن قادس فى أعقاب سقوطها فى أيدى النصارى واتخاذهم لها قاعدة بحرية (ابن عذارى ، المصدر السابق ، ص ٤٢٠) ، ومرة رابعة عندما تحدث عن مصرع على بن عيسى بن ميمون قائد الاسطول (نفس المصدر ، ص ٢٣٢ ، ٢٣٣) ٠ وذكر ابن أبى زرع فى الذخيرة السنية أن القائد الرندأجى قتل ثمانين من زعماء الروم بجزيرة قادس (ابن أبى زرع ، الذخيرة السنية ، ص ٧٦) ٠

شبه جزيرة ضيقة المدخل فى الطرف الجنوبى الغربى من شبه جزيرة ايبيريا (٧) ، ويتفق الدكتور مكى فى ذلك مع رأى الدكتور مؤنس (٨) .

ويرى بعض الباحثين ومنهم د. بدرو مرتينث منتابث أن المؤرخين والجغرافيين العرب ذكروا قادس على أنها جزيرة ربما لانهم لم يكونوا يعنون بهذا الاسم قادس المدينة على وجه التحديد وانما كانوا يقصدون مايتصل بها أيضا من المناطق التابعة لها والقرى والضياع التى كانت تحيط بها (٩) .

وللتوفيق بين الرأى القائل بأن قادس كانت شبه جزيرة واطلق عليها اسم جزيرة قادس تجاوزا على غرار وصفهم للأندلس بأنها جزيرة الأندلس وذكرهم لبلاد العرب على أنها جزيرة العرب ، وبين الاسم الذى اجمعت عليه المصادر العربية وهو الجزيرة ، يمكن الافتراض بأن قادس كانت فى الحقيقة تتخذ شكل لسان برى ممتد فى مياه المحيط ، وكانها شبه جزيرة تحيط بها المياه من ثلاثة جهات ، فى حين كان يحيط بها من جهة البر نهر برباط أو وادى بكة ، وعلى هذا النحو فان مياه المحيط والنهر تطوقها من كل جانب مما افسح المجال لتسميتها بجزيرة قادس . ومع أن هذا القول يبدو لأول وهلة مقبولا ، الا اننا نستبعده ، لأننا اذا رجعنا فى الواقع الى كل من ابن سعيد وياقوت الحموى

---

(٧) ابن حيان ، المقتبس ، التعليق رقم ٤٧٩ من تحقيق الدكتور محمود مكى لهذا الكتاب .

(٨) حسين مؤنس ، الجغرافية والجغرافيون ، ص ٤٥٨ . وكان الاستاذ ليفى بروفنسال قد اعتبر قادس شبه جزيرة Lévi - Provençal,) Histoire, vol. III, p. 339)

(٩) Pedro Martinez Montavez, Perfil del Cadiz hispano arabe, Instituto Hipano arabe de Cultura, P. 8.

والمقرى ، فاننا نستنبط من نصوصهم عـن قادس انهـا كانت جزيرة بالفعل ، ولم تكن شبه جزيرة ترتبط بالبر من جانب ، وتحيط بهـا مياه البحر من الجوانب الأخرى كما يزعم بعض المؤرخين المحدثين ، فابن سعيد يؤكد بقول قاطع كمـا سبق ان أشرنـا أن قادس « جزيرة منقطعة فى البحر المحيط ، وفى بحرها من جهة البر آثار قنطرة كـان يدخل عليها الماء الحلـو من البر فى مـدة النصارى » (١٠) . فعبارة منقطعة فى البحر المحيط تؤكد صراحة انفصال عمران قادس عن البر ، وتطويق مياه المحيط لها من سائر الجهات ، واذا كان ثمة اتصال بين البر والجزيرة ، فانما كان يتم عن طريق القنطرة التى ذكر ابن سعيـد انها كانت تحمل اليها الماء الحلو مـن البر . ويصف المؤلف مجهـول الاسم صاحب كتاب « ذكر جزيرة الأندلس » آثار هذه القنطرة التـى كانت تقوم على اقواس وأساطين مبنية فى وسط البحر فـوق الصخور البحرية بقوله : « وبجزيرة قادس آثار عجيبة لم يغيرهـا مر الأزمنة عليها ، قديمة تدل على القوة والمملكة العظيمة ، فمنها القناة الباقيـة الأثر المنجلبة من حصن طنبيل ، أتى بالماء من على ظهرها على ستـة عشر ميلا حتى يبلغ الى قادس ، وهذه القناة مبنية بصم الصخور ، وكان اذا بلغ الماء المواضع المنخفضة والمروج المستكنة رفع على قناطر قد قامت على اساطين واقواس حتى بلغ الماء ضفة البحر ، ثم نصب له أعلام وقناطر متصلة مبنية فى وسـط البحر بالصخر المنجـور والكلس والرصاص حتى وصل الى جزيرة قادس ... » (١١) . ويذكر الادريسى القناطر المذكورة فى سياق حديثه عن الطريق الذى يربط اشبيلية بالجزيرة الخضراء ، فيقول : « ومن الجزيرة الخضراء الى مدينة اشبيلية طريقان:

---

(١٠) ابن سعيد المغربى ، المغرب فى حلى المغرب ، تحقيق د. شوقى ضيف ، ج١ ص ٣٠٩ .

(١١) مؤلف مجهول ، ذكر جزيرة الأندلس ، تحقيق لويس مولينا ، مدريد ، ١٩٨٣ ص ٦٥ ، ٦٦ .

طريق فى الماء وطريق فى البر ، فأما طريق الماء فمن الجزيرة الخضراء الى الرمال فى البحر الى موقع نهر برباط ثمانية وعشرون ميلا ، ثم الى موقع نهر بكة ستة أميال ، ثم الى الحلق المسمى شنت بيطر اثنا عشر ميلا ، ثم الى القناطر وهى تقابل جزيرة قادس اثنا عشر ميلا ، وبينهما مجاز سعته ستة أميال ، ومن القناطر تصعد فى النهر الى رابطة روطة ثمانية أميال » ([١٢]) .

وعن القناطر أيضا يقول المقرى نقلا عن ابن غالب صاحب فرحة الأنفس فى حديثه عما صنعه الأول من جلب الماء من البحر المحيط الى جزيرة قادس : « جلبوه فى جوف البحر فى الصخر المجوف ذكراً فى انثى وشقوا به الجبال ، فاذا وصلوا به الى المواضع المنخفضة بنوا له قناطر على حنايا ، فاذا جاوزها واتصل بالأرض المعتدلة رجعوا الى البنيان المذكور ، فاذا صادف سبخة سبخة بنى له رصيف وأجرى عليه ، هكذا الى أن انتهى به الى البحر ، ثم دخل به فى البحر وأخرج فى جزيرة قادس ، والبنيان الذى عليه الماء فى البحر ظاهر بين » ([١٣]) . أما الزهرى ، فقد ذكر أن القنطرة التى كانت تزود قادس بالماء العذب كانت مبنية على نهر وادى لكة ، وكانت تتكون من ثلاثين قوسا ([١٤]) .

---

(١٢) الادريسى صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس من كتاب نزهة المشتاق ، تحقيق دوزى ودى غويه ، ليدن ١٦٦٨ ص ١٧٧

(١٣) حسين مؤنس ، تاريخ الجغرافية والجغرافيين ، مدريد ١٩٦٧ ص ٤٥٨ . ويعلق الدكتور مؤنس على ما ذكره ابن غالب بقوله أن هذه العبارة غير واضحة ، ويرى أن المراد مما ذكره ابن غالب هو توصيل الاولين للماء من البر الى طرف اللسان الذى تقوم عليه مدينة قادس بواسطة انابيب تمتد بأعلى جسور معقودة ، من الساحل فى أعماق ماء المحيط . وهذا التفسير الذى أورده ابن غالب يؤكد أن قادس لم تكن شبه جزيرة متصلة بالبر عن طريق لسان بارز ، وانما كانت جزيرة بالفعل يطوقها الماء من كل جانب .

(١٤) الزهرى ، كتاب الجغرافية ، ص ٨٩ .

ووجود هذه القنطرة يؤكد لنا حقيقة هـامة وهى اقتراب جـزيرة قادس من البر اقترابا شديدا وعدم توغلها فى البحر المحيط مسافة طويلة، وهذا يعنى كذلك أن جزيرة قادس كان يفصلها عن البر مجاز ضيق أو زقاق ، والا مااقيمت قنطرة لنقل الماء العذب من البر اليها.ويؤكد المقرى قول ابن سعيد ، فيذكر جزيرة قادس بين الجـزر البحرية ؛ يقـول المقرى : « وأما الجزر البحرية بالأندلس فمنها جزيرة قادس وهى من أعمال اشبيلية ، وقال ابن سعيد أنها من كورة شريش ، ولا منافاة لان شريشا من أعمال اشبيلية كما مر .. » ([١٥]) .

ومن النصوص الوصفية لقادس والتى تؤكد أيضا أن قادس كانت جزيرة نص ياقوت الحموى فى وصف قادس ، فقد ذكر أنها « جزيرة فى غربى الأندلس تقارب أعمال شذونة طولها أثنا عشر ميلا **قريبة من البر بينها وبين البر الأعظم خليج صغير** قد حازها الى البحر عن البر » ([١٦]) ولعل هذا الوصف يوضح تماما الصورة التى كانت عليها قادس ([١٧]) .

---

(١٥) المقرى ، نفح الطيب ، ج١ ص ١٥٦ .

(١٦) ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، مادة قادس ، بيروت ١٩٥٧

(١٧) واذا أخذنا بهذا الوصف الذى أورده ياقوت ، فاننـا نستنتج أن قادس كانت تشبه مدينة الاسكندرية القديمة ، فشبه الجزيرة الحالية المعروفة فى العصر الاسلامى بشبه جزيرة المنار والتى تمتد حاليا من منطقة رأس التين حتى قلعة قايتباى كانت فى الأصل جزيرة تقع قبالة قرية راكوتيس التى اقيمت عليها الاسكندرية ، ولم يكن اللسان الذى يربط بين المدينة والجزيـرة ، والذى يشـكل قسما عمرانيا هاما من الاسكندرية الحالية قائما أنذاك (انظر محمد صبحى عبد الحكيم ، مدينة الاسكندرية ، القاهرة ، ص ١٧ ، ١٨) ولا يقتصر التشابه بين الاسكندرية وقادس على ذلك وانما تتشابه المدينتان أيضا كما سبق ان اشرنا فى المقدمة فى منارتيهما . والواقع ان منار الاسكندرية المشهور كان الانموذج الذى اقيمت على غراره منائر مصغره منه أهمها منار قادس ، وفى ذلك يقول الزهرى : « فى هـذه المدينة قادس المنـارة العجيبة وكانـت تشبه منـارة الاسكندرية ...» (الزهرى ، المصدر السابق ، ص ٩٠) وقد =

ومن خلال ما وصفها به ابن سعيد وياقوت والمقرى يمكننا أن نفسر سر تميزها كقاعدة بحرية هامة فى العصر الاسلامى .

أما كيف اصبحت جزيرة قادس شبه جزيرة أو لسان برى ممتد فى البحر المحيط. فان ذلك يرجع فى رأيى الى احتمال واحد هو ردم ([18]) المسافة القصيرة الفاصلة بين جزيرة قادس وارض الأندلس حتى يتغلب سكان الجزيرة على مشكلة الاتصال بالبر من جهة ومشكلة توصيل المياه العذبة عن طريق الأنابيب بدلا من الجسور القديمة من جهة أخرى ، واستبعد تماما احتمالا آخر غير مقبول علميا وأعنى بـه الترسيبات النهرية .

وأيا ما كان الأمر فان القنطرة التى كانت توصل المياه العذبة من وادى لكة الى جزيرة قادس ([19]) كانت تقوم على ثلاثين قوسا ، ويصفها

= ربط أبو حامد الانطاكى بين منار الاسكندرية وبين منار قادس عند وصفه لهذا المنار (حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص ١١١ . وعن وصف منار الاسكندرية أنظر : المسعودى ، التنبيه والاشراف ص ٤٧ وعن وصفه لمنار قادس أرجع لنفس المصدر ص ٦٩ وكذلك المؤلف مجهول الاسم ، ذكر بلاد الاندلس ص ٦٦ ، وعن وصـف المنارتين وأوجه الشبه بينهما : السيد عبد العزيز سالم ، تأثير منار الاسكندرية فى عمارة بعض مآذن المغرب والأندلس ، ص ١٨٤) .

(١٨) عملية الردم كانت حلولا لمشاكل كثيرة ، من ذلك على سبيل المثال ردم منطقة من مناطق الاسكندرية زمن الحملة الفرنسية على مصر قرب الباب الأخضر بحيث تكون كوم مرتفع عرف بكوم الناضورة أقيم بأعلاه برج للمراقبة مازال قائما حتى يومنا هذا . ومنها ردم أجزاء كثيرة من بحيرة مريوط بالاسكندرية واقامة مراكز عمرانية عليها ، وردم ترعة الفرخة واستغلال الأرض المحدثة فى شق طريق فسيح هو شارع قناة السويس .

(١٩) ذكر الجغرافى مجهول الاسم صاحب كتاب ذكر بلاد الأندلس أن نهر وادى لكة (يسميه وادى لك) كان يصب شرقى قادس وأن أهلها اعتمدوا عليه فى سقياهم ، وفى ذلك يقول : « وهى (أى قادس) على ضفة النهر الأعظم ، وفى شرقيها النهر المسمى بوادى لك ومنه يشربون ... » (أنظر ، ذكر بلاد الأندلس ، ص ٦٥) .

الزهرى بقوله : «وفى الجنوب من اشبيلية مدينة قادس ، وكانت على صفة البحر الاعظم (المحيط) وكان فى شرقها النهر الأعظم المسمى بوادى لكة ، ومنه كانوا يشربون ويغتسلون ، وكانت عليه قنطرة من ثلاثين قوسا على ما ذكرت الروم فى تواريخها ،وكان هذا النهر يخرج الى البحر الأعظم على الفم المسمى بشنت باطر » ([٢٠]) . كذلك يصفها الجغرافى مجهول الاسم بقوله : « وكانت عليه (نهر وادى لك) قنطرة عظيمة من ثلاثين قوسا » ([٢١]) .

وكانت جزيرة قادس على حد قول الادريسى تتبع اقليم البحيرة الذى يبدأ من البحر المظلم (المحيط الأطلسى) ويمر مع البحر الشامى، ويضم من المدن بخلاف قادس جزيرة طريف ، والجزيرة الخضراء وحصن أركش وبكة وشريش وطشانة ومدينة ابن السليم (شذونة) ([٢٢]) . ولكن الرازى يجعل قادس من بين المدن التابعة لكورة شذونة ([٢٣]) ، ويحذو حذوه فى ذلك كل من ابن غالب ([٢٤]) ، وابن الكردبوس ([٢٥]) وياقوت الحموى الذى يصف قادس بأنها « جزيرة فى غرب الأندلس تقارب أعمال شذونة » ([٢٦]) .

---

(٢٠) الزهرى ، كتاب الجغرافية ، ص ٨٩ .

(٢١) مجهول ، ذكر بلاد الأندلس ، ص ٦٥ .

(٢٢) الادريسى ، المصدر السابق ، ص ١٧٤ .

(٢٣) Lévi - Provençal, Description de l'Espagne de Ahmad al-Razi, al - Andalus, vol. XVIII, 1953, pp. 96-97.

(٢٤) ابن غالب ، قطعة من كتاب فرحة الأنفس ، نشرها د. أحمد لطفى عبد البديع ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، القاهرة، ١٩٥٦ ، ص ٢٥ .

(٢٥) ابن الكردبوس ، تاريخ الأندلس ، تحقيق أحمد مختار العبادى، ص ٣٤ ، ٣٦ .

(٢٦) ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، مادة قادس .

ويذكر المقرى فى سياق حديثه عن الموقعة التى دارت فى رمضان سنة ٩٢هـ بين جيوش المسلمين بقيادة طارق بن زيـاد وقوات القـوط الغربيين بقيادة الملك لذريق بأن اللقاء تم « على وادى لكة من كـورة شذونة .. » ([٢٧]) ، ولما كان وادى لكة هو نهر قادس ، فانه هو ذاتـه الذى كان يزود أهل جزيرة قادس بالماء العذب ([٢٨]) ، وكان يصب فى البحر المحيط على مقربة منها ([٢٩]) .

ومن النصوص السابقة نستنتج أن قادس كانت تابعة لنفس كورة وادى لكة وهى كورة شذونة . ويرجع الجغرافى مجهول الاسم جزيرة قادس الى اشبيلية ، فيجعلها فى حلق وادى اشبيلية ([٣٠]) ، ويجعلهـا ابن عذارى من بين مدن وادى اشبيلية ، فيذكر فى معرض حديثه عن سيل عام ٥٩٧هـ الذى اكتسح كل عمران وادى أشبيلية انه « هلك فيـه أمم لايحصيهم الا الله وذلك بجفن اشبيلية وبكل من كان بضفتى الوادى من قرطبة الى جزيرة قادس » ([٣١]) . كذلك يعتبر ابن أبى زرع جزيرة قادس من بين مدن وادى اشبيلية ، فقد ذكر فى حوادث عام ٦٥٣هـ أن القائد محمد الرنداجى (والى جزيرة قادس) قتل بوادى اشبيلية ([٣٢]) ، وسواء قتل الرنداجى فى قادس التى كـان يتولاهـا أو فى موضـع من أحوازها فان تحديد ابن أبى زرع للموضع الذى قتل فيه بوادى اشبيلية

---

(٢٧) المقرى ، نفح الطيب ، ج١ ص ٢٤٢ .

(٢٨) مؤلف مجهول ، ذكر بلاد الأندلس ، ص ٦٥ .

(٢٩) تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ، ص ٣٦ .

(٣٠) مؤلف مجهول ، ذكر بلاد الأندلس ، ص ٦٥ .

(٣١) ابن عذارى ، البيان المغرب ، القسم الخاص بتاريخ الموحدين ، ص ٢٣٨ .

(٣٢) ابن أبى زرع ، الذخيرة السنية فى تاريخ الدولة المرينية ، الرباط، ١٩٧٢ ص ٨١ .

انما يدل على أن قادس كانت تتبع وادى اشبيلية • ويصف الحميرى قادس بأنها «جزيرة بالاندلس عند طالقة من مدن اشبيلية » ([٣٣]) •

واذا كان جغرافيو الأندلس ومؤرخوهم قد اختلفوا فيما بينهم على تحديد الكورة أو الاقليم الذى كانت تتبعه قادس فان بعضهم لم يلتـزم بتحديد واحد ، فذكر فى موضع آخر تحديدا ثانيا مما احدث اضطرابا فى روايته • فالزهرى يذكر فى سياق حديثه عن نهر وادى لكة الذى كان يشرب منه أهل قادس ([٣٤]) بأنه « على هذا النهر المعروف بوادى لكة التقى المسلمون مع طارق بجيش لذريق ملك الروم • وفى هذا الموضع قتل وعتا عليه السيف وعلى جيشه الى مدينة استجة ، وهى أول مدينة استفتحها المسـلمون فى الأندلس ومدينة شذونـة وهى اليـوم خـالية خربة •••» ([٣٥]) • ونفهم من هذا النص أن نهر وادى لكة كان قريبا من شذونة بحيث أنه كان يعتبر نهر هذه الكورة ، وبالتالى فان قادس كانت تتبعها بدورها • ولكن الزهرى يكتفى فى موضع آخر من نفس كتابه بالاشارة الى أن قادس مدينة تقع فى جنوب اشبيلية ([٣٦]) • وبينما يذكر ابن سعيد مدينة قادس فى موضع من كتابه بأنها تتبع كورة شذونة ([٣٧]) ينقل عنه المقرى ما يشير الى أن قادس تتبع كورة شريش ([٨٣]) مـن أعمال اشبيلية ([٣٩]) • وبينما يذكر المقرى أن وادى لكة (وهو وادى

---

(٣٣) الحميرى ، الروض المعطار فى خبر الاقطار ، تحقيق د• أحسان عباس ، بيروت ، ١٩٨٤ ص ٤٤٨ •

(٣٤) ذكر بلاد الأندلس ، ص ٦٥ ـ ابن الكردبوس ، ص ٣٦ •

(٣٥) الزهرى ، كتاب الجغرافية ، ص ٩٣ •

(٣٦) نفس المصدر ، ص ٨٩ •

(٣٧) ابن سعيد ، المغرب فى حلى المغرب ، ص ٣٠٩ •

(٣٨) المقرى ، نفح الطيب ، ج١ ص ١٥٦ •

(٣٩) المقرى ، نفس المرجع ص ١٥٦ •

قادس) من كورة شذونة (٤٠) يذكر فى موضع آخر أن قادس من اعمال اشبيلية (٤١) .

ويمكننا أن نعزو هذا الارتباك بين المؤرخين والجغرافيين العرب وعدم اتفاقهم على تحديد الكورة التى كانت تتبعها قادس الى ان هـذه المدينة كانت حتى بداية عصر دويلات الطوائف تابعة لكورة شذونـة وقاعدتها مدينة شذونة (٤٢) Medina Sidonia . وهذه الكورة غير كورة أرشذونة (٤٣) Archidona ، فكورة شذونة على حد قـول الحميرى كانت تتصل بكورة مورور ، وكان عملها يشمل مساحة خمسين ميلا فى مثلها ، وكانت «من الكور المجندة ، نزلها جند فلسطين مـن العرب .. » . ومن كور شذونة شريش وغيرها ، وفيها كانت الهزيمة على لذريق حين افتتحت الأندلس سنة ست وتسعين » (٤٤) . ويذكر ياقوت أن شذونة « مدينة بالأندلس تتصل نواحيها بنواحى مورور من أعمال الأندلس ، وهى منحرفة عن مورور الى الغرب مائلة الى القبلة .. وهى من أعمال اشبيلية » (٤٥). ومنمدن كورة شذونة بخلاف قاعدتها مدينة شذونة (٤٦) مدينة شريش (٤٧) وقلشانه (٤٨) وقرية شرانة (٤٩) وقلعة

---

(٤٠) نفس المرجع ، ج١ ص ٢٤٢ .

(٤١) نفس المرجع ، ج١ ص ١٥٦ .

(٤٢) تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ، ص ٣٦ ـ الحميرى ، المصـدر السابق ص ٤٦٦ .

(٤٣) ابن سعيد ، المصدر السابق ، ص ٣٠٧ ، ٣١٠ .

(٤٤) الحميرى ، المصدر السابق ، ص ٣٣٩ .

(٤٥) ياقوت ، معجم البلدان ، مادة شذونة ص ٣٢٩ .

(٤٦) يذكر الدكتور عبد الرحمن الحجى فى تحقيقه لكتـاب المسالك والممالك للجغرافى البكرى أن مدينة شذونة تقع على بعد نحو ٤٠كم جنوب شرقى مدينة قادس فى جنوب اسبانيا . ويذكـر الحميرى أن مدينة شذونة كانت قبل دخول المسلمين الأندلس قاعدة كورة شذونة ، وأن شذونة المدينة كانت تعرف زمن الحميرى بمدينة ابن السليم ، فقد سكنها بنو السليم واستقروا بها بعد خرابها =

خولان ([٥٠]) واركش ([٥١]) وشلوقه ([٥٢]) وقرمونة ([٥٣]) .

= (الحميرى ، المصدر السابق ، ص ٤٦٦) . ويذكر الدكتور أحمد مختار العبادى فى سياق حديثة عن موقعة الفتح الأول للأندلس أن مدينة شذونة كانت اسما من أسماء مدينة شريش (أحمد مختار العبادى ، دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس ، الاسكندرية ١٩٨٢ ، ص ٣٣) وهو بذلك يخلط بين مدينة شريش ومدينة شذونة ، ويدلل على رأيه بأن هناك من المؤرخين من سمى هذه الموقعة بموقعة وادى لكة أو موقعة شريش ، واعتقد أن تسمية معركة وادى لكة بمعركة وادى شريش لاينهض دليلا على أن مدينة شذونة اسم من أسماء شريش .

(٤٧) ذكر ياقوت الحموى أن مدينة شريش كانت قاعدة كورة شذونة (ياقوت ، معجم البلدان ، مادة شريش ص ٣٤٠) وعن شريش ارجع الى ابن سعيد ، المغرب فى حلى المغرب ، ص ٣٠٢ ، الحميرى ، الروض المعطار ، ص ٣٤٠ .

(٤٨) يذكر الحميرى (الروض المعطار ، ص ٤٦٦) أن قلشانة من كورة شذونة وأنها تقع على نهر وادى لكة وأن نهر بوطه (لعله برباط) يصب فى نهر وادى لكة على مقربة منها ، ويضيف الحميرى أن قلشانة كانت مقر العمال والقواد الدين يتولون على شذونة الكورة، وان قاعدة شذونة مدينة شذونة التى عرفت أيضا فى عصره بمدينة ابن السليم ، وأن المسافة بين مدينة قلشانة ومدينة شذونة أو ابن السليم ٢٥ ميلا . ويذكر الادريسى أن من مدن كورة شذونة مدينة غلسانة وربما كان يقصد بها قلشانه (الادريسى ، المصدر السابق، ص ١٧٤) .

(٤٩) ابن سعيد ، المصدر السابق ، ص ٣٠٧ .

(٥٠) المصدر السابق ، ص ٣١٠ .

(٥١) ابن الابار ، الحلة السيراء ، ج٢ ص ٢٤٢ هامش١ .ويذكر دكتور مؤنس أن أركش كانت فى التقسيم الادارى للأندلس تابعة لكورة شريش ـ شذونة ، وهى اليوم تتبع مديرية قادس وتقع على بعد خمسين ك.م . شمال شرقى القاعدة قادس .

(٥٢) دارت مناقشات عديدة حول أسماء بعض المواضع التابعة لكورة شذونة التى وقعت فيها المعركة الحاسمة الأولى بين جيوش المسلمين بقيادة طارق بن زياد والقوط الغربيين ، ومن بين المواضع التى كانت مثارا لتلك المناقشات موضع «السواقى» الذى اعتبره كثير من المؤرخين أمثال سافدرا Saavedra الملاذ الأخير الذى لجأ اليه =

ونستنتج مما سبق ذكره أن كورة شذونة (التى كانت تتبعها قادس) كانت تشتمل حتى منتصف عصر دويلات الطوائف على مساحة واسعة من الأرض تبلغ نحو خمسين ميلا مربعا فى الركن الجنوبى الغربى من الأندلس ، بحذاء الساحل حتى مصب نهر الوادى الكبير شمالا • وكانت تحدها من جهة الشرق كورة الجزيرة (الجزيرة الخضراء Algeciras) ومن الجنوب اقليم البحيرة Laguna de la Janda (٥٤) ، ومن جهة الشمال كورة مورور Moron ،ومن الغرب البحر المحيط (٥٥)•

وكان ينزل بكورة شذونة قبيلة بربرية هى بنو خزرون ، الذين سيطروا على هذه المنطقة وأسسوا بها احدى الامارات البربرية الصغيرة فى عصر دويلات الطوائف • وبنو خزرون يرجعون الى قبيلة يرنيان أو ارنيان من زناتة (٥٦) ، وكان زعيمهم أبو عبد الله محمد بن خزرون

= لذريق بعد هزيمته على أيدى قوات موسى بن نصير ، وقد ذكر الدكتور مختار العبادى فى تحقيقه لتاريخ ابن الكردبوس أن السواقى هو اسم محرف لمدينة شلوقة احدى مدن كورة شذونة وهو الرأى الذى أدلى به ليفى بروفنسال فى دراسته لوصف الأندلس للرازى (تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ، ص ٣٥) وواضح أن هذا الرأى لا أساس له من الصحة لبعد المخارج الصوتية لكلمة السواقى من مخارج لفظة شلوقة •

(٥٣) ذكر الادريسى قرمونة من بين مدن كورة شذونة (الادريسى ، المصدر السابق ، ص ١٧٤) •

(٥٤) وان كان الادريسى يجعل قادس والجزيرة الخضراء ضمن اقليم البحيرة كما سبق أن ذكرنا • واقليم البحيرة هذا هو المنطقة التى كانت تكثر فيها المستنقعات ، وجعلها طارق حاجزا بينه وبين القوط فى معركة الفتح الأولى (أحمد مختار العبادى ، دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس ، الاسكندرية ، ١٩٨٢ ص ٣١)•

(٥٥) ابن الكردبوس ، ص ٣٤ •

(٥٦) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج٣ ص ٢٣٠ (عصر دويلات الطوائف) وانظر محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف ، القاهرة ١٩٦١ ص ١٥٣ •

بن عبدون الخزرى الرنداجى (٥٧) ، وكان قد وفد مع غيره من طائفة البربر ايام الدولة العامرية ، واستقل أيام الفتنة بمدينة قلشانة من كورة شذونة فى عام ٤٠٢هـ أول الأمر ، ثم استولى على اركش وعلى كافة الأنحاء المجاورة للكورة بعد ذلك ، وتلقب بعماد الدولة .

وخلف عبدون اباه أبا عبد الله محمد بن خزرون فى سنة ٤٢٠هـ(٥٨) (١٠٢٩م) على امارة شذونة وأركش ، وبايعته المدن المجاورة لأركش ومنها قلشانة وشريش وقادس (٥٩) ، وظل يحكم هذه الامارة زهاء خمس وعشرين سنة . وكان عبدون هذا صاحب كورة شذونة (٦٠) أحد الأمراء البربر الأربعة الذين بايعوا (٦١) لمحمد بن القاسم بن حمود الحسنى ، وقدموه للخلافة بالجزيرة الخضراء ، وهم اسحق بن محمد بن عبد الله البرزالى صاحب قرمونة ، ومحمد بن نوح الدمرى صاحب مورور ، وباديس بن حبوس صاحب غرناطة واعمالها ، وعبدون بن خزرون صاحب اركش وماحولها . وبهذا نرجح أن تكون قادس تابعة لكورة شذونة حتى أواخر عهد عبدون بن خزرون الذى لقى مصرعه فى سنة ٤٦١هـ بسبب مؤامرة دبرها المعتضد ابن عباد صاحب اشبيلية (٦٢).

---

(٥٧) ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ص ٢٣٨ .
(٥٨) ابن عذارى ، البيان ج٣ (عصر الطوائف) ص ٢٩٤ .
(٥٩) يقول ابن عذارى : « وليها بعد أبيه بوصيته ، فقام بها ، وبايعته البلاد المجاورة لأركش وشريش والجزيرة وقلسانه ... » (ابن عذارى ، البيان ، ج٣ ص ٢٩٤) . ومن المرجح أن يكون المقصود بالجزيرة هنا جزيرة قادس لقربها من هذه المدن ، فمن المنطقى أن تكون جزيرة قادس هى المقصودة بوقوعها فى يد ابن خزرون بدلا من الجزيرة الخضراء التى نستبعدها لبعدها عن شريش واركش وقلشانه ، وقرب قادس منها .
(٦٠) ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ص ٢٣٩ .
(٦١) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج٢ ص ٢٣٠ .
(٦٢) كان المعتضد ابن عباد يستهدف الاستيلاء على ممتلكات ابن خزرون فى شذونة ، وأبى نور بن أبى قرة صاحب رندة ، ومحمد بن نوح الدمرى صاحب مورور ، فدبر لهم مؤامرة قتلهم فيها ، ثم =

وبمصرع عبدون بن خزرون على يد المعتضد ابن عباد ، ومحمد بن خزرون آخر أمراء هذه الأسرة ، تدخل امارته فى فلك مملكة ابن عباد باشبيلية ، ولذلك فاننا نرجح تبعية قادس منذ ذلك الحين لاشبيلية ، شأنها فى ذلك شأن بقية مدن كورة شذونة ، وربما استمرت كذلك حتى أواخر العصر الاسلامى ، وبهذا نعلل أختلاف المصادر العربية حول تحديد الكورة التى كانت تتبعها قادس بأختلاف الظروف السياسية التى مرت بها الأندلس عبر حقب التاريخ الاسلامى ٠

= استولى على بلادهم (ابن عذارى ، البيان ، ج ٣ ص ٢٧١ - ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ص ٢٣٨) ٠

(٢)

وصف جزيـرة قادس

يبلغ طول جزيرة قادس نحو ١٢ ميلا وعرضها ميلا واحدا ([٦٣])، ويصف جغرافيو العرب ومؤرخوهم الأندلس بأنها تتخذ شكل مثلث تشغل قادس زاويته الجنوبية ، وفى ذلك يقول الرازى : « وشكلها مثلث (أى الأندلس) وهى معتمده على ثلاثة أركان : الأول هو الموضع الذى فيه صنم قادس المشهور بالأندلس ، ومنه مخـرج البحر المتوسـط الشامى الآخذ بقبلى الأندلس ، والركن الثانى هو بشرقى الأندلس بين مدينـة نربونه ومدينة برديل مما بأيدى الفرنجة اليوم بازاء جزيرتى ميورقـة ومنورقة بمجاورة من البحرين البحر المحيط والبحر المتوسط ، وبينهما البر الذى يعرف بالأبواب ([٦٤]) ، وهو المدخل الى بلاد الأندلس مـن الأرض الكبيرة على بلد افرنجة ومسافته بين البحرين مسيرة يومين ، ومدينة نربونة تقابل البحر المحيط ، والركن الثالث منها هـو ما بين الجوف والغرب من حيز جليقية حيث الجبل الموفى على البحر ، وفيها الصنم العالى المشبه بصنم قادس وهو الطالع على بلد برطانية » ([٦٥])، وينقل أبو بكر عبد الله بن عبد الحكم المعـروف بابن النظـام الرواية السابقة عن الرازى ، فيقول : « وصفة الأندلس شكل مركن على مثال الشكل المثلث ، ركنها الواحد فيما بين الجنوب والمغرب حيث اجتمـاع البحرين عند صنم قادس ، وركنها الثانى فى بلد جليقية حيث الصنم المشبه صنم قادس مقابل جزيرة برلمانية ، وركنهـا الثالث بين مدينـة نربونة ومدينة برديل ... » ([٦٦]) . وقد أخذ جميع جغرافيو الأندلس

---

(٦٣) الحميرى ، الروض المعطار ، ص ٤٤٨ ـ
Pedro Martinez, op. cit., p. 10

(٦٤) هو مايعرف بالبرتات أو البرت ، والأبواب ترجمة عربية لها .

(٦٥) المقرى (نقلا عن أحمد بن محمد بـن موسى الرازى) ، ج١ ص ١٢٨ .

(٦٦) المقرى ، نفح الطيب (نقلا عن ابن النظام) ، ج١ ص ١٣٠ .

بهذا الوصف ومنهم البكرى والعذرى وابن غالب والادريسى والحميرى وكذلك طائفة من مؤرخى الاندلس وفى مقدمتهم ابن عذارى المراكشى والمقرى . فالبكرى ، يذكر أن من أركان الأندلس الركن الذى فيه صنم قادس « بين المغرب والقبلة بازاء جبل افريقية ... » ([٦٧]) ، والحميرى يذكر أن من أركانها الموضع الذى « فيه صنم قادس بين المغرب والقبلة .. » ([٦٨]) ، وابن عذارى يردد نفس العبارة تقريبا ([٦٩]) .

وأهم السمات التى يمكن أن نلاحظها فى جغرافية المنطقة المحيطة بقادس أو ما يسمى بكورة شذونة البحيرة المسماة لاخاندا Laguna de la Janda ([٧٠]) ، وكذلك بعض السلاسل الجبلية ومنها جبل مقعد البابا La Silla del Papa ، وسلسلة جبال الرتين La Sierra del Retin ([٧١]) . وتحصر البحيرة بينها وبين سيرادل رتين سهلا فسيحا كان يتسم بالمنعة بحكم الحماية التى تسبغها عليه البحيرة من ناحية ، والجبل المطل عليه من ناحية اخرى ([٧٢]) . وربما كانت هذه الجبال هى نفس الجبال التى ذكر الزهرى أنها تقع جنوبى شذونة ، وفى ذلك يقول : «ومما يلى هذا الموضع فى الجنوب الجبال المعروفة بجبال الصوف ، وهى متصلة بجبل طارق ، وبجبال تاكرونه

---

(٦٧) البكرى ، جغرافية الأندلس وأوروبا ، تحقيق د. عبد الرحمن على الحجى ، بيروت ١٩٦٨ ص ٦٥ .

(٦٨) الحميرى ، الروض المعطار ، ص ٣٢ .

(٦٩) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج٢ (طبعة بيروت) ص ١

(٧٠) عبد الواحد ذنون طه ، دراسات فى التاريخ الأندلسى ، مقال بعنوان : نظرة عصرية لعملية عبور مضيق جبل طارق ومعركة كورة شذونة ، الموصل ، ١٩٨٧ ، ص ١٧ .

(٧١) حسين مؤنس ، فتح المسلمين الأندلس ، دعوة الى ترديد النظر فى الموضوع ، صحيفة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية ، المجلد ١٨ ، ص ٨١ .

(٧٢) عبد الواحد ذنون طه ، المرجع السابق ، ص ١٧ .

وجبال أرجونه » (٧٣) . ويذكر الزهرى ايضا ان ركنا من أركان جبل تاكرونه كان يفصل بين رابطة روطة وقادس (٧٤) . ويحدثنا المقرى نقلا عن ابن سعيد بأن الركن الثالث من الأندلس بمقربة من جبل الأغن (وصحتها الأغر) حيث صنم قادس ، « والجبل المذكور يدخل من غربه مع جنوبه بحر الزقاق من البحر المحيط مارا مع ساحل الأندلس الجنوبى الى جبل البرت المذكور » (٧٥) .

أما الأنهار التى تجرى فى المنطقة فأهمها نهر برباط Rio Barbate الذى يخترق البحيرة ويصب فى المحيط الاطلسى ، وكان فى هذا الموضع بليدة لاوجود لها فى الوقت الحاضر كانت تعرف باسم بكة ، وكانت تقع على مقربة من نهر آخر يجرى قريبا من نهر برباط ، ويصب بدوره فى المحيط الأطلسى عند موضع يقال له شنت بيطر (٧٦) . هذا النهر الاخير أطلق عليه اسم وادى بكة ، وحرف الى وادى لكة Guadalete ويرى بعض الباحثين أن نهر برباط هو نفسه نهر وادى لكة (٧٧) ، بينما

---

(٧٣) الزهرى ، كتاب الجغرافية ، ص ٩٣ .

(٧٤) الزهرى ، نفس المصدر ، ص ٨٩ .

(٧٥) المقرى ، نفح الطيب ، ج١ ص ١٢٧ .

(٧٦) الزهرى ، المصدر السابق ، ص ٨٩.وقد أورد الادريسى اسم هذا الموضع فى كتابه نزهة المشتاق فى سياق حديثه عن المسافة من الجزيرة الخضراء الى اشبيلية عبر الطريق المائى فذكر أن من « الجزيرة الخضراء الى الرمال فى البحر الى موقع نهر برباط ٢٨ ميلا ، ثم الى موقع وادى بكة ستة أميال ، ثم الى الحلق المسمى شنت بيطر ١٢ ميلا، ثم الى القناطر وهى تقابل جزيرة قادس ١٢ ميلا..» (الادريسى ، المصدر السابق ، ص ١٧٧) .

(٧٧) عبد الواحد ذنون طه ، المرجع السابق ، ص ١٧٠ —

E. Saavedra, Estudio Sobre la invasión de los Arabes en España, Madrid, 1892, p. 68.

ويذكر ابن عذارى أن النهر الذى اقتتل عنده طارق بن زياد ولذريق كان يعرف بوادى الطين (ابن عذارى ، المصدر السابق ، =

يرى فريق آخر أن نهر برباط هو نهر آخر غير نهر وادى لكه وان كان كلاهما يصب فى المحيط الأطلسى ، فنهر برباط يخترق البحيرة ثم يصب فى المحيط الأطلسى (٧٨) ، اما وادى لكة فيخترق أراضى كورة شذونة بنواحى مدينة شريش ، ويصب فى المحيط ايضا على مقربة من جزيرة قادس (٧٩) .

وربما يرجع السبب فى هذا الاختلاف فى الرأى حول نهر وادى لكة ووادى برباط الى تعدد الآراء والمناقشات الطويلة التى دارت حول الموقعة الأولى التى خاضها المسلمون عند فتحهم للأندلس ، وحول الاسم الذى اطلق على أرض المعركة وعن موقعه على وجه التحديد (٨٠).

= ج ٢ ص ٧) . وقد فسر د. السيد عبد العزيز سالم هذه التسمية بقلة مياه النهر وكثرة الطين فيه الى حد أن فرس لذريق ساخ فيه. ويذكر الدكتور سالم أن ابن عبد الحكم اطلق على هذا الوادى الذى دارت على ضفافه الموقعة اسم وادى أم حكيم (انظر ابن عبد الحكم ، فتوح أفريقية والاندلس نشر البير جاتو Albert Gateau الجزائر ١٩٤٧ ص ٩٤ - السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس ، بيروت ١٩٦١ ، ص ٧٩ هامش ٤) . وربما يذكرنا اسم هذا الوادى بالجزيرة الخضراء التى أطلق عليها اسم جزيرة أم حكيم نسبة الى جارية لطارق بن زياد حملها معه اثناء الفتح (احمد مختار العبادى ، دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٢٩) . ولم يذكر د. عبد العزيز سالم فى كتابه ما يتعلق باسماء نهر وادى لكة ، وانما ذكر أن الموقعة الاولى التى خاضها المسلمون عند الفتح بقيادة طارق قد أطلق عليها اسم موقعة وادى لكة ، واحيانا أخرى موقعة نهر برباط نظرا لامتداد ساحة المعركة واتساعها وعدم انحصارها فى موقع محدد . ويتفق معه فى ذلك د. احمد مختار العبادى عندما يسمى الموقعة بموقعة كورة شذونة (السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس ، ص ٧٩ - احمد مختار العبادى ، تحقيق كتاب تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ، ص ٣٤ ، ٣٦) .

(٧٨) كتاب تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ، ص ٣٤ .

(٧٩) الزهرى ، كتاب الجغرافية ، ص ٨٩ .

(٨٠) يرى البعض أن المعركة دارت عند وادى لكة بالقرب من شريش ولذلك اطلقوا عليها اسم معركة وادى لكة (السيد عبد العزيز سالم، =

ونحن نميل الى الاخذ بالرأى القائل بأن نهر برباط هو نهر آخر غير نهر وادى لكة استنادا على نص أورده الادريسى فى سياق حديثه عن الطريقين البرية والمائية اللتين كانتا تربطان الجزيرة الخضراء باشبيلية، ونطالع فيه ما يلى : « فأما طريق الماء فمن الجزيرة الخضراء الى الرمال فى البحر الى موقع **نهر برباط** ثمانية وعشرون ميلا ، ثم الى موقع **نهر بكة** ستة أميال»([٨١]) ، وفى هذا النص تمييز واضح بين النهرين لا مجال للشك فيه .

وأياما كان الامر فاننا نستخلص من كل هذا العرض أن كورة شذونة كانت غنية بالمجارى المائية ، وأن نهر وادى لكة كان يصب فى المحيط على مقربة من قادس استنادا الى نص الادريسى الذى نطالع فيه : « وذلك أن النهر الذى يمر بقرطبة من هذا الجبل ([٨٢]) يخرج من هذا الجبل من مجتمع مياه كالغدير ظاهر فى نفس الجبل ، ثم يغوص تحت الجبل ويخرج من مكان فى اسفل الجبل فيتصل جريه غربا الى جبل نجدة الى غادرة الى قرب مدينة أبده الى أسفل مدينة بياسة ... الى اشبيلية، الى قبطان، الى قبتور ، الى طربشانه، الى المساجد، الى قادس ثم

= تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس ، ص ٧٠) ـ وهناك من يرى أن الموقعة دارت عند اقليم البحيرة ووادى برباط. Saavedra, op. cit., pp. 68, 69) ، وأن وادى لكة هو اسم من الاسماء التى اطلقت عليه . وهناك من يرى أن الموقعة دارت عند البحيرة وأن اسم وادى لكة هو تعريب من كلمة لاجو lago الاسبانية Lacus باللاتينية بمعنى البحيرة

(Lévi - Provençal Histoire de l'Espagne musulmane, Paris 1951, t. I, P. 20).

(٨١) الادريسى ، المصدر السابق ص ١٧٧ .

(٨٢) المقصود بهذا الجبل جبل يبدأ عند مدينة شقورة ذكر الادريسى أنه كان يخرج من أسفله نهران احدهما نهر قرطبة وهو النهر الذى نتحدث عنه فى المتن (نهر الوادى الكبير) والآخر نهر مرسية أو نهر أوريوله الذى يعرف بالوادى الابيض Guadalaviar (الادريسى المصدر السابق ، ص ١٩٤ ـ ١٩٦) .

الى بحر الظلمات » ([٨٣]) . وهكذا نستدل من نص الادريسى أن نهر قرطبة وهو نهر الوادى الكبير كان يصب فى البحر المحيط بالقرب من قادس أو فى نواحيها .

وكانت قادس نقطة البداية فى الطريق الرومانية العظمى المعروفة باسم المحجة العظمى Via Augusta ، ومن المعروف أن الطرق الرومانية القديمة ظلت تؤدى وظائفها فى العصر الاسلامى وأن هذا الطريق الاعظم تعرض لتغيرات متعددة طوال هذا العصر ([٨٤]) . وكان هذا الطريق يمر باشبيلية ثم بقرطبة ويخرج من بابها المعروف بباب رومية أو باب عبد الجبار ([٨٥]) ، ثم من باب عباس من ابواب الشرقية بقرطبة ([٨٦]) ، ويمر بمدينة سرقسطة الى طركونة الى اربونة وينتهى بروما العظمى . ويذكر ابن بشكوال أن باب رومية من ابواب قرطبة كانت تلتقى فيه الثلاثة رصف التى تشق دائرة الأرض من جزيرة قادس الى قرمونة الى قرطبة الى سرقسطة الى طركونة الى أربونة مارة فى الأرض الكبيرة ([٨٧]) .

---

(٨٣) الادريسى ، نفس المصدر ، ص ١٩٦

(٨٤) Pedro Martinez, op. cit. P. 15.

(٨٥) نسبة الى عبد الجبار بن خطاب بن مروان بن نذير احد كبار الجند الشاميين الذين دخلوا الأندلس مع بلج بن بشر القشيرى بموافقة عبد الملك بن قطن الفهرى أمير الأندلس . واقام عبد الجبار بقرطبة مايقرب من ثلاث سنوات ثم انتقل بعدها الى تدمير فيما يقرب من عام ١٢٨هـ وهناك صاهر تدمير القوطى صاحب أوريولة وانجب من زوجته القوطية ابنه خطاب الذى ينسب اليه سلسلة من الذرارى . (لمزيد من المعلومات ، ارجع الى سحر السيد عبد العزيز سالم ، بنو خطاب بن عبد الجبار التدميرى ،الاسكندرية ١٩٨٩) .

(٨٦) ابن الابار ، كتاب التكملة لكتاب الصلة ، تحقيق ونشر جنثالث بلنثيه ، مدريد ١٩١٥ ، ص ٥٦١ .

(٨٧) حسين مؤنس ، الجغرافية والجغرافيون ، ص ٣٨٧ =

وكانت القناطر التى تربط قادس كجزيرة بأرض الأندلس همـزة الوصل بين هذه الجزيرة وبين سائر المدن الاخـرى فى كورة شذونة ، فشريش على سبيل المثال كان بينها وبين قادس نحو ١٢ ميـلا ، ستة أميال منها فى البر ، وستة فى البحر (٨٨) . وكان الادريسى قد أوضح فى موضع من كتابه ان القناطر تقع فى مواجهة جزيرة قادس وان بينهما مجاز طوله ٦ أميال (٨٩) .

= والمقصود بالرصف الثلاثة ، الطرق الرومانية القديمة Viae Romanae المعبدة المرصوفة ، ولهذا سميت بالرصف ، والمصطلح الأندلسى «رصيف» يطلق على الطريق الرومانى القديم وعلى كل طريـق مرصوف . ويذكر الدكتور حسين مؤنس أن قرطبة كـانت شبكـة مواصلات اقليم باطقة ،اى حوض نهر الوادى الكبير ،وكانتتتفرع منها ستة رصف . أولها رصيف هرقل Via Herculae أو Via Augusta ثم رصيفان رئيسيان يشرع أحدهما الى طليطلة ، ومن طليطلة الى سرقسطة ، وهناك يلتقى برصيف اغسطس ، والثانى يشرع الى انتقيره فمالقة ومنها الى طركونة وبرشلونة والى امبرياس حيث يلتقى برصيف اغسطس ،والرصف الثلاثة الاخرى المتبقية ، يخرج احداها من قرطبة الى مدلين فالاشبونة ، والثانى يخرج من قرطبة الى قرمونة واشبيلية فقادس اى انه استمرار للرصيف الاغسطسى، والثالث يصل الى صحراء صفرة Zafra

(٨٨) الادريسى ، المصدر السابق ، ص ٢٠٦

(٨٩) المصدر السابق ، ص ١٧٧

(٣)

أهم معالم جزيرة قادس وآثارها القديمة

ا ـ جسر الميـــاه :

اطلق الجغرافيون العرب اسم القناطر ([٩٠]) على جسر المياه الذى كان قائما قرب مصب نهر وادى لكة ([٩١]) ويربط قادس بالبر ، وكان هذا الجسر يقوم على ثلاثين قوسـا ([٩٢]) . ويذكر الجغرافى مجهول الاسم أن الموضع الذى كان يبدأ منه مد المياه العذبة من نهر وادى لكـة كان يطلق عليه اسم «حصن طنبيل» ويقع على بعد ستة عشر ميلا من قادس ([٩٣]) . وكانت المياه الحلوة تتدفق داخل انابيب تمتد على قناطر قائمة على عمد متصلة حتى ساحل البحر المحيط ، ومن هناك ترتفـع مرة اخرى على عقود تقوم على ارجل شيدت من الحجـارة الملسـاء والكلس والرصاص واستقرت اسسها فى قاع البحر ، وتواصل المياه جريها بأعلى هذه القناطر حتى تصل الى جزيرة قادس ([٩٤]) .

ب ـ الجباب والصهاريج :

بالاضافة الى الجسر الـذى اشرنـــا اليـه كانت قـادس مزوده بصهاريج ([٩٥]) وجباب لحفظ المياه العذبة التى كانت تصل الى اهـل الجزيرة من البر عبر القناطر ، ويصف الزهرى شكل هذه الصهاريج ، فيذكر ان سطوحها كانت محببة وملونة بأبـدع الالوان ، وأنهـا كانت

---

(٩٠) مجهول ، ذكر بلاد الأندلس ، ص ٦٥ ـ الادريسى ، ص ١٧٧ ـ الزهرى ، ص ٨٩ ، ٩٢ ـ مؤنس ، الجغرافية والجغرافيون ، ص ٤٥٨ .
(٩١) مجهول ، ذكر بلاد الأندلس ، ص ٦٥
(٩٢) الزهرى ، ص ٨٩
(٩٣) مجهول ، المصدر السابق ، ص ٦٥
(٩٤) نفس المصدر ، ص ٦٥ .
(٩٥) الزهرى ، ص ٩٢

تزدان بزخارف هندسية على هيئة مثلثات ودوائر ، وكل شكل من هذه الاشكال كان يختلف تماما عن الشكل الآخر ، وأن هذه الصهاريج صنعت من مادة لاتتأثر بالنار ولا بالماء ٠

وكانت هذه الصهاريج تتلقى مياهها من جسر المياه سالف الذكر ، وفى ذلك يقول الزهرى : «وكان ملك قادس رجلا من القوط اسمه سنبطرين ، وهو الذى جلب الماء من جبل تاكرونه الى قادس وجوزه على شنت باطر ، وفى ذلك الجبل والخرزات حتى الى القصر الذى بمدينة قادس الى الصهاريج التى كانت لها السطوح المشهورة الذكر ، وهى من اعجب ماصنع على وجه الأرض ، ذلك انها مسطحة بحب كحب السمسم وعلى قدره ، ملونة بأبدع الألوان ، قد اتقنت على خواتم ودارات ومثلثات لاتشبه صنعة الواحدة صنعة الأخرى ، قد التصقت بأرق اللصاق والأغرية التى لايعمل فيها الماء ولا النار شيئا ٠ وكانت تلك المياه تنصب فى تلك الصهاريج » (٩٦) ٠

ويسوق الزهرى فى كتابه الجغرافية قصة أسطورية يذكر فيها انه كانت بقادس دار على صفة الصهريج الأعظم عرفت بدار التن (٩٧) ، وكان بهذه الدار طلسم يجذب اليه أسماك التن فى شهر مايو من كل عام ٠ ويبدو أن الملكة (زوجة الملك سنت باطر) طلبت من زوجها أن يفتح بابا فى ركن جبل تاكرونه (٩٨) ليدخل من البحر الى نهر وادى لكة ذراعان من الماء ، فتزيد مياه النهر وتدخل فيه أصناف مختلفة من الأسماك والتن ٠ ولكن الملك تردد بادىء ذى بدء فى الأخذ بمشورة زوجه خوفا على قادس من الغرق ، الا أن زوجته واصلت الحاحها عليه حتى

---

(٩٦) الزهرى ، كتاب الجغرافية ، ص ٩٠
(٩٧) التن نوع من الاسماك كان يتوافر فى هذه المنطقة
(٩٨) الزهرى ، نفس المصدر ، ص ٩٠

استجاب لها ، فامر العرفاء والصناع بشق الطريق الذى يربط قادس بروطة ، فلما دخل ماء البحر والتقى بماء وادى لكة ازدحم الماء حتى كاد يغمر الجسر ، وتسبب فى اغراق معظم جزيرة قادس باستثناء جزيرة صغيرة ([٩٩]) .

ج ـ منار قادس وصنم هرقل :

لا يرد ذكر قادس فى المصادر العربية الا ويقترن بصنمها والمنار واعمدة هرقل ، وقد اثار تردد ذكر صنم قادس العديد من التساؤلات حول المقصود بهذا الصنم الشهير . فقد كان بقادس منار يتشابه على حد قول الزهرى ([١٠٠]) كثيرا مع منار الاسكندرية ، بل يفهم من رواية الزهرى انه كان صورة مصغرة من ذلك المنار ، ويؤكد ابو حامد الغرناطى ذلك التشابه عندما يصف منار قادس وصنمه الذى يعلوه بعد ان انتهى من وصفه لمنار الاسكندرية ([١٠١]) . كان منار قادس مربع القاعدة، بنى من الحجارة المصقولة ، وكان ارتفاعه يصل الى مائة ذراع ، وكانت تزين اوجهه عقود قائمة على اعمدة من النحاس الأحمر . وكان يتالف من طابقين مربعى الشكل ، العلوى منهما اصغر حجما من الادنى ، اذ كان يقدر بثلث حجم المربع الادنى ، وكان يتوج الطابق العلوى طابق هرمى الشكل نصب باعلى راسه لوح من الرخام مربع الشكل ناصع البياض يشكل قاعدة لتمثال آدمى عرف فى المصادر العربية باسم صنم قادس ، على غرار التمثال الذى كان يتوج منار الاسكندرية ([١٠٢]) .

---

(٩٩) نفس المصدر ، ص ٩٢

(١٠٠) نفسه ، ص ٩٠

(١٠١) حسين مؤنس ، الجغرافية والجغرافيون ، ص ٣١١

(١٠٢) كان يعلو الطابق الثانى فى منارة الاسكندرية طابق اسطوانى الشكل ارتفاعه ١٥ مترا ينتهى من اعلاه بجوسق قائم على ثمان اعمدة من الجرانيت مكلل ببناء مثلث الشكل ينتهى راسه بتمثال ضخم من البرونز ارتفاعه ٧ امتار يمثل اله البحر بوسيدون (السيد عبد العزيز سالم ، تاثير منار الاسكندرية فى عمارة بعض مآذن المغرب والأندلس ، ص ١٨٥) .

ويصف الزهرى منار قادس وصف المشاهد له فيقول : «وكان فى هذه المدينة المنارة العجيبة وكانت تشبه منارة الاسكندرية ، وكان ارتفاعها مائة ذراع • وكانت مربعة مبنية بالكذان الأحرش المحكم النجارة معقود بأعمدة النحاس الأحمر • وكان فى رأس هذه المنارة مربع ثان قدر ثلث الأول • وكان فى رأس هذا المربع الصغير شكل مثلث محدود له أربعة أوجه على كل وجه من المربع الصغير وجه من المثلث ، ففى رأس تحديد المثلث رخامة بيضاء مربعة من شبرين فى شبرين ، وعلى تلك الرخامة تمثال على صورة ابن آدم من أبدع مايكون من الاتقان وأحسن ما يكون من الانشاء » ([١٠٣]) • وذكر المسعودى انه كان يعلو منار قادس عمود عليه تمثال من النحاس كان يرى من شذونة ، لعظمه وارتفاعه ([١٠٤]) • وقد عرف منار قادس فى الروايات اللاتينية باسم أعمدة هرقل Colunnae Herculis ([١٠٥]) •

أما الصنم فتذكر بعض المصادر العربية انه من عمل هرقلش أو اركلش من ملوك الروم الاغريق ([١٠٦]) ، وقد جعل فيه صورة نفسه مفرغة من نحاس كرجل متوشح برداء من منكبيه الى أنصاف ساقيه ، يتجه

---

(١٠٣) الزهرى ، كتاب الجغرافية ،ص ٩٠ وارجع الى المؤلف المجهول، ذكر بلاد الأندلس ص ٦٦ ، وانظر السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق ، ص ١٨٤ •

(١٠٤) المسعودى ، التنبيه والاشراف ، ص ٦٩ •

(١٠٥) حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص ٣٨٧

(١٠٦) البكرى ، جغرافية الأندلس وأوروبا ، ص ٧٠ - الجغرافى مجهول الاسم ، ذكر بلاد الأندلس ، ص ٦٦ - الحميرى ، الروض المعطار ، ص ٤٤٨ • ويسوق كل من ياقوت الحموى والمقرى رواية جاء فيها أن أحد ملوك الاغريق بجزيرة قادس كانت له ابنة جميلة تنافس ملوك الأندلس على خطبتها ، فاشترطت الابنة على المتنافسين أن ينشئوا رحى بقادس لاستخدامها فى حصولهم على أقواتهم اليومية أو أن يتخذوا طلسما ليحصنوا به الأندلس ، وكان هذا الطلسم هو صنم قادس (انظر ياقوت ، معجم البلدان ، مادة قادس - المقرى ، نفح الطيب ، ج١ ص ٢٢٩ - ٢٣١) •

بوجهه جهة المغرب «وقد ضم عليه وشاحه ، فى يده اليمنى مفتاح من حديد وهو مادها نحو المغرب وفى اليسرى صفيحة من رصاص منقوشة فيها ذكر خبره » (١٠٧) ، ويذكر كل من الزهرى والجغرافى مجهول الاسم ان هذا التمثال كان يمد ذراعه اليسرى الى الشمال وهو يقبض انامله مشيرا بسبابته الى الزقاق وكأنه يشير الى الطريق ، اما يده اليمنى فكانت تقبض على عصا وكانه يشير بها الى الطريق هدايةللمسافرين (١٠٨) ويعلق الزهرى الذى قدر له ان يشاهد منار قادس والصنم اعلاه قبل ان يتعرضا للهدم سنة ٥٤٥هـ (١١٤٩/١١٥٠م) على الروايات المتواترة بين الناس بأن كثيرا من الناس كانوا يظنون انه يحمل مفتاحا بدلا من العصا ، فى حين انه لم ير بيد التمثال اى مفتاح ، وانما كان بيده عصا طولها اثنى عشرشبرا ، ويعبر عن ذلك بقوله : « لقد رايته مرارا ولم ار فى يده مفتاحا ، وانما يظهر فى يده شبه عود صغير لبعده من الأرض ، ولقد اخبرنى من حضر هدم الصنم وكان من العرفاء الذين حضروا هدم تلك المنارة ان الذى كان بيده عصا طولها اثنى عشر شبرا ، وفى راسها شكاشف كالفرجلة » (١٠٩) .

وكان معظم اهل قادس يعتقدون ان هذا التمثال قد صنع من الذهب الأحمر بسبب تغير لونه كلما تعرض لضوء الشمس عند شروقها او غروبها ، ويتلون بلونها ، فتارة يخضر ، وتارة يحمر ، وتارة يتخذ لون اللازورد (١١٠) . ويذكر الحميرى ان هذا الصنم كان ينتصب على منار قادس فى وسط الجزيرة (١١١) وأن ارتفاعه مع ارتفاع المنار ،

---

(١٠٧) الحميرى ، المصدر السابق ، ص ٤٤٨ ـ ابن حيان ، المقتبس تحقيق الدكتور محمود على مكى (عصر الاميرين عبد الرحمن الاوسط ومحمد) ص ٥٨٨ تعليق ٤٨٠ .
(١٠٨) الزهرى ، كتاب الجغرافية ، ص ٩٠
(١٠٩) الزهرى ، نفس المصدر ، ص ٩٠
(١١٠) نفس المصدر ، ص ٩٠
(١١١) الحميرى ، الروض المعطار ، ص ٤٤٨

اى من أدنى المنار الى رأس التمثال ، كان يصل الى نحو مائة وأربعة وعشرين ذراعا ، بمعنى أن ارتفاع التمثال وحده كان يبلغ ٢٤ ذراعا على أساس أن ارتفاع المنار نفسه كان يبلغ مائة ذراع على حد قول الزهرى (١١٢) .

واصبح ذلك التمثال موضوعا للقصص الشعبى والروايات الأسطورية والتنبؤات الخرافية ، من ذلك انه اذا سقط احد المفتاحين من يد التمثال كان ذلك ايذانا باشتعال نار الفتنة فى الأندلس ، أما اذا سقط المفتاح الاخر فان ذلك يكون نذيرا بخراب الاندلس (١١٣) . وقيل أيضا ان صنم قادس «موضوع على بلاد الأندلس ، فجعل رأسه لطليطلة ، وصدره لقرطبة ، وكذلك أعضاؤه قسمها عضوا عضوا على بلاد الأندلس ، فمتى اصاب عضوا من هذه الأعضاء آفة حلت بذلك القطر الذى من قسمته آفة » (١١٤) . وقيل أيضا انه اذا هدم صنم قادس استولى النصارى على بلاد الأندلس ، فلما هدم هذا الصنم على يد على بن عيسى بن ميمون «دخل النصارى قرطبة وملكوها » (١١٥) .

---

(١١٢) الزهرى ، المصدر السابق ، ص ٩٠

(١١٣) الحميرى ، المصدر السابق ، ص ٤٤٨

(١١٤) الحميرى ، نفس المصدر ، ص ٤٤٩

(١١٥) فى جمادى الآخرة من سنة ٥٤٠هـ زحف ابن غانية (أبو زكريا يحيى) الى قرطبة على رأس فرقة من قوات النصارى ، تغلب بفضلهم على قوات أبى جعفر احمد بن محمد بن حمدين الثائر على المرابطين فى قرطبة (وكان قد بويع بالامارة وتلقب بأمير المسلمين وناصر الدين المنصور بالله) فى موقعة دارت فى أحواز استجه (ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ص ٢٥٣) ، ثم دخلت قواته قرطبة فى ١٢ شعبان سنة ٥٤٠هـ ، ودخل النصارى قرطبة وعاثوا فى مسجدها الجامع ، وربطوا خيولهم فى أروقته وأقاموا قداسا حافلا ، وتناولوا بأيديهم المصحف العثمانى (ابن غالب ، قطعة من كتاب فرحة الأنفس ، ص ٣٠) فاثاروا بذلك غضب أهل قرطبة ، ثم خرجوا منها بعد عشرة أيام من دخولها .
وهذه القصة خرافية لان هدم الصنم وقع بعد احتلال النصارى لقرطبة بخمسة أعوام .

كما شاع بين أهل الأندلس أن من يقـدم على هـدم صنم قادس « يموت مقتولا وكذلك كان » ([116]) فقد اتفق أن على بن عيسى بـن ميمون الذى هدم الصنم ([117]) مات قتيلا ([118]) الأمـر الذى أكـد لدى الأهالى هذه التنبؤات وساعد على ترويجها . وزعم أهل جزيرة قادس أن من يركب سفينته ويبحر ويغيب عن صنم قادس يظهر له صنم ثـان مثله ، فاذا وصل اليه وتجاوزه بدا له صنم ثالث ، فرابـع الى سبعة أصنام الى ان يجد نفسه فى بلاد الهند ([119]) . وقيل أن أهل الأندلس كانوا يظنون أن هذا الصنم طلسم وأنه متى هدم تتوقف الملاحة فى البحر الى الشام ، واتفق أن هدم ابن ميمون صنم قادس سنة ٥٤٥هـ وانتظـر الناس مايحدث ، فلم يتغير من الأمر شىء ، واستمرت حركة الملاحـة والابحار على ماكانت عليه فيما عدا حركة المجوس التى توقفت بسبب هدم المنار ، وفى ذلك يقول الزهرى : «وكان هذا الطلسم الذى هـدم يعرض لهم فى فم الزقاق فيدخلون عليه الى هذا البحر الصغير ويصلون الى أطراف الشام . ومنذ هدمت هذه المنارة لم يخرج من تلك القراقير الا اثنتان انكسرت احداهما على مرسى المجوس ، وانكسرت الأخـرى على طرف الأغر ، وكان ذلك سنة خمس وأربعين وخمسمائة ، ولـم تخرج بعد ذلك ولم تتعطل فى البحر حركة ولا سفر الا هذه الحركة التى

---

(١١٦) الحميرى ، الروض المعطار ، ص ٤٤٩

(١١٧) ذكر الحميرى ان على بن عيسى بن ميمون أقدم على هدم الصنم ظنامنه أن بداخله كنوز ضخمة وأنه محشو تبرا ، « فدعا لـه الرجال والبناة ، وأخذوا فى قطع حجر منه ، وكلما قطعوا حجرا دعموا مكانه بدعامة من خشب ، حتى وقف ذلك الجرم العظيـم على الدعائم ، ثم رموا الى الخشب النار ، بعدما ملأوا الخلل الذى بين الخشب حطبا ، فسقط جميعه ، وكانت له رجفة عظيمة ، واستخرج الرصاص المعقود بالحجارة والنحاس الذى كان منه الصنم وكان مذهبا ، وبردت فى يديه من مطلبه الخيبة » (الحميرى ، ص ٤٤٩) .

(١١٨) البيذق ، كتاب أخبار المهدى بن تومرت ، الجزائر ، ١٩٧٤ ، ص ١٢٣ ـ ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج٤ ، ص ٣٢ ، ٣٣ .

(١١٩) الحميرى ، المصدر السابق ، ص ٤٤٩

للمجوس بسبب تلك المنارة » ([١٢٠]) . وتتمثل أهمية هذا الخبر فى انه يؤكد ان غارات النورماندين على سواحل الأندلس الجنوبية وعلى الأخص على جزيرة قادس لم تنقطع حتى العام الذى تهدم فيه منار قادس وصنمها سنة ٥٤٥هـ ، وكان الرأى الشائع قبل ذلك أن آخر غارات النورماندين على سواحل الأندلس وقعت فيما بين عامى ٣٥٥ ، ٣٦٠هـ ([١٢١]) .

ومن الروايات الغريبة التى ترددت حول صنم قادس مازعمه جمهور كبير من أهل الأندلس ، اشاعوا أن صنم قادس كان يحول دون هبوب الرياح على البحر المحيط مما تسبب فى عرقلة السفن عن الملاحة فيه ، وقيل أن هدم هذا الصنم يسر للسفن أن تسير فيه ([١٢٢]) .

ونختتم دراستنا لصنم قادس بأبيات من الشعر من نظم موسى بن شخيص يصف سفينة تتهادى فى بحر قادس تجاه الصنم :

ورجراجة الأرداف موارة الخطا

تهادى وليست من حسان الأوانس

الى أن ترى الشخص الملفع موفيا

على الصنم الموفى على بحر قادس

ولما نزلنا تحته قال صاحبى

أعاجيب روم أو أعاجيب فارس

---

(١٢٠) الزهرى ، كتاب الجغرافية ، ص ٩٢

(١٢١) السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادى ، تاريخ البحرية الاسلامية فى المغرب والأندلس ، الاسكندرية ، ص ١٨٠ –
Pedro Martinez, op. cit., P. 26

(١٢٢) المقرى ، نفح الطيب ، ج١ ص ١٢٧

فقلنـــا لــه خفض ســؤالك والتمســ

نجاتك من هول البحار الطوامس([١٢٣])

د ـ الأربطـة والقلاع :

تميزت قادس وما يليها بعدد من المنشآت الهامة منها قلعة حصينة اقيمت على مقربة منها رابطة روطة ([١٢٤]) . وفى فضل روطة أن ابـا محمد عبد الملك بن حبيب ذكر أن من رابط فيها صائما غفرت له ذنوب سبعين عاما ([١٢٥]) . وقد الف هذا الفقيه فى رابطة روطة مصنفا ضخمـا افرده لذكر فضائل هذه الرابطة .

ومن حصون قادس كذلك حصنا الملعب وشنت بيطر ([١٢٦]) ، ويقع هذا الحصن الاخير على الضفة الشرقية من مصب وادى لكة فى البحـر المحيط ([١٢٧]) وكان مزودا بكنيسة شهيرة كان لهـا مكانة كبـيرة عند نصارى هذه الكورة ([١٢٨]) .

---

(١٢٣) الحميرى ، الروض المعطار ، ص ٤٤٩

(١٢٤) مجهول ، ذكر بلاد الأندلس ، ص ٦٥

(١٢٥) الزهرى ، كتاب الجغرافية ص ٨٩ . وروطه بليـدة بساحـل مدينة شريش قرب مدخل خليج قادس على المحيط الاطلسى ، وبها رباط معظم ومسجد مشهور بالبركة يزورها أهل الاندلس قاطبة كل عام .

(١٢٦) مجهول ، ذكر بلاد الأندلس ، ص ٦٥ .

(١٢٧) الزهرى ، المصدر السابق ، ص ٨٩

(١٢٨) مجهول ، المصدر السابق ، ص ٦٥

الفصــــل الثــانى

تاريخ جزيرة قادس منذ الفتح الاسلامى للأندلس حتى سقوط الخلافــة الأمويــة

(١) فتح المسلمين لجزيرة قادس

(٢) قادس فى عصر الامارة الأموية

أ ـ غزوة النورمان الاولى سنة ٢٢٩هـ

ب ـ الغارة النورمندية الثانية سنة ٢٤٥هـ

ج ـ هواية الصيد بجزيرة قادس زمن الامير محمد

د ـ قادس فى عصر دويلات الطوائف الأول (٢٧٢هـ ـ ٣١٦هـ)

الفصــل الثانى

تاريخ جزيرة قادس منذ الفتح الاسلامى للأندلس

حتى سقوط الخلافة الأموية

(١)

فتح المسلمين لجزيرة قــادس

من الحقائق المسلم بها ان تاريخ الفتح الاسلامى لهـذه الجزيرة مازال يكتنفه الغموض ، ومن الصعب تحديد هذا التاريخ على وجـه الدقة ، وان كان من المرجح أن قادس شهدت أضواء الاسلام اثر احـدى الحملتين اللتين حسمتا فتح الأندلس ، ويرجع السبب فى هذا الغموض الى أن المصادر العربية أغفلت ذكر قادس من بين أسماء المدن التى تـم فتحها ، ربما لانها كانت جزيرة ليس لها من الاهمية ما كان للمـدن الأخرى القريبة منها كشذونة وأركش واشبيلية ، وان كان ذلك التعليل لم يمنع من ورود اسم جزر اخرى غير قادس مثل جزيرة طريف والجزيرة الخضراء بين أسماء المدن والجزر التى افتتحها المسلمون .

وأمام اغفال اسم قادس من قائمة المـدن المفتوحة لانجد أمامنـا لتحديد تاريخ الفتح الاسلامى لقادس سوى ثلاث احتمالات : اولها أن تكون قادس قد افتتحت عقب انتصار طارق بن زياد مباشرة فى الموقعة الحاسمة الاولى سنة ٩٢هـ لاسيما ان هذه الموقعة التى ورد اسمها فى أربعة صور (موقعة وادى لكـة (١) او نهر بربــاط (٢) او موقعـــة

---

(١) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج٢ ص ٨ ، وقيل وادى بكة (ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٧) .

(٢)هو النهير الذى يخترق بحيرة لاخندا وانظر فى ذلك :
(E.) Saavedra, op. cit., p. 68.

البحيرة (٣) او موقعة شذونة (٤)) دارت على مقربة من البحيرة اى فى نواحى جزيرة قادس .

والاحتمال الثانى ان تكون قادس قد افتتحت على يد موسى بن نصير أو على يد احد ابنائه فى حملته الكبرى الى الاندلس سنة ٩٣هـ وذلك عقب نزوله بالجزيرة الخضراء ، وتوجهه الى شذونة التى افتتحها عنوة (٥) .

واما الاحتمال الثالث ان تكون قادس من بين المدن التى افتتحها عبد العزيز بن موسى بن نصير بعد رحيل ابيه الى المشرق ، وان كنا نعرف من المصادر العربية ان عبد العزيز اهتم بفتح غرب الاندلس وشرقيها بالاضافة الى القسم الشمالى الشرقى منها .

فبالنسبة للاحتمال الاول نجد لزاما علينا ان نتقصى خط سير طارق بن زياد بعد انتصاره على قوات لذريق فى موقعة وادى لكة ، ونستدل من المصادر العربية ان طارق راى - ربما بمشورة يليان - ان يستغل انتصاره الحاسم على القوط ليستولى على حاضرتهم قبل ان يفوق القوط من صدمتهم ، ويلموا من جديد شعث عسكرهم ، وفلول قواتهم . وتجمع المصادر على ان طارق بن زياد استولى على استجة Ecija وسير من هناك عدة فرق الى مدن مختلفة من الاندلس ، فارسل قوة

---

(٣) اخبار مجموعة فى فتح الاندلس ، نشر وتحقيق لافونتى القنطرة ، مدريد ، ١٩٦٧ ص ٩ وانظر كذلك .

Lévi - Provençal, Histoire, t.I, pp. 20,21.

(٤) السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس ، ص ٩٤ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٩٤ .

من الفرسان بقيادة مغيث الرومى (٥) مولى عبد الملك بن مروان (٦) فى قول ، او مولى الوليد بن عبد الملك فى قول آخر (٧) ،فاستولى عليها عفوا بدون قتال ، وفر حاكمها القوطى بمن معه من الحماة الى كنيسة شنت أجلح San Ascicio الواقعة خارج أسوار قرطبة من جهة الغرب ، فحاصرها المسلمون ثلاثة أشهر انتهت باستيلائهم عليها (٨) ، كما وجه جيشا آخر الى البيرة ونواحيها واستولى عليها ، وجيشا ثالثا الى مالقة قاعدة كورة رية (٩) . اما هو فقد زحف على راس القوة العظمى من جيشه الى طليطلة العاصمة القوطية (١٠) عبر طريق رومانى قديم كان يعرف باسم طريق هانيبال يمر بجيان (١١) Jaen

---

(٥) ابن القوطية ، المصدر السابق ، ص ٩ ــ أخبار مجموعة ، ص ٧ ــ ٩ ، ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج٢ ص ٩ ــ المقرى ، نفح الطيب ، ج١ ص ٢٤٤ ، وانظر أيضا السيد عبد العزيز سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة فى الأندلس ، ج١ ، ص ٢٠ ــ ٢٨ .

(٦) ابن عذارى ، البيان ، ج٢ ص ٩ .

(٧) المقرى ، نفح الطيب ، نقلا عن الرازى ، ج١ ص ٢٤٤ .
وعن مغيث الرومى أنظر : محمد أحمد أبو الفضل ، بنو مغيث الرومى .

(٨) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج٢ ص ١٠ ــ أحمد مختار العبادى، دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٣٦ . وعن فتح قرطبة انظر السيد عبد العزيز سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة الأموية فى الاندلس ، ج١ ص ٢٧ ، وتاريخ المسلمين واثارهم فى الاندلس ، ص ٨٤ ــ ٩٠ .

(٩) أخبار مجموعة ، ص ١٠ ــ ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج٢ ص ١١ ــ المقرى ، نفح الطيب ج١ ص ٢٤٤ . ويستبعد د. ذنون طه أن يكون طارق قد افتتح هذه المدن باستثناء قرطبة (أنظر عبد الواحد ذنون طه ، دراسات أندلسية ، الموصل ، ١٩٨٦ ص ١٧)

(١٠) يقول المؤرخ المجهول صاحب أخبار مجموعة «وسار هو فى عظم الناس يريد طليطلة» (أخبار مجموعة ، ص ١٠) ويقول ابن عذارى : «وتقدم معظم الجيش الى طليطلة » (ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج٢ ص ١١) .

(١١) Saavedra, op. cit. P. 78.
وانظر أيضا حسين مؤنس ، فجر الأندلس ، القاهرة ١٩٥٩ ص ٧٨ السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس ، ص ٨٣ .

ومنتيسة Montesa ، ونجح اخيرا فى دخول طليطلة دون أن يلقى أى مقاومة من أهلها [١٢] وخلى بها رجالا من اصحابه [١٣] .

ولم يرد فى اى مصدر من المصادر العربية التى اوردت تفاصيل الفتح الاسلامى للأندلس ما يشير الى ان طارق افتتح مدنا من كورة شذونة ، وانما اقتصرت فتوحه على قرطبة ومالقة وغرناطة (البيرة) وطليطلة ومدينة المائدة (عرفت فيما بعد باسم قلعة عبد السلام وتعرف الآن باسم قلعة هنارس Alcala de Henares) . وعلى هذا النحو اصبح الاحتمال الأول فى حكم المستبعد ، وبذلك يخرج من دائرة النقاش ، ويبقى أمامنا الاحتمالان الأخريان ، اما أن تكون قادس قد فتحت على يد موسى بن نصير أو على يد ابنه عبد العزيز .

لم يمض على حملة طارق عام واحد حتى كان موسى بن نصير يعبر الزقاق بقوات كثيفة معظمها من شيوخ العرب عدتها ١٨ الفا [١٤] اما لينال نصيبه من شرف الفتح كما تزعم المصادر العربية ، أو لتعريب الأندلس بهذا العدد الضخم من اجناد العرب ، او لأسباب عسكرية تستهدف تطهير الجيوب الغربية منشبه جزيرة ايبيريا منالمقاومة القوطية المتزايدة فى هذه النواحى تثبيتا للمرحلة الاولى من الفتح أو لكل هذه العوامل مجتمعة .

ونزلت قوات موسى بادىء ذى بدء بساحل الجزيرة الخضراء ، وتباحث فى الجزيرة الخضراء مع «العلوج الأدلاء» فى أى الوجهات يتقدم بقواته ، فدلوه على طريق الغرب ونصحوه بالبدء بشذونة ، ويقول فى

---

(١٢) أحمد مختار العبادى ، دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٣٦ ـ السيد عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ص ٨٣

(١٣) اخبار مجموعة ، ص ١٤ .

(١٤) ابن عذارى ، ج٢ ص ١٢

ذلك صاحب أخبار مجموعة : « فساروا به الى مدينة شذونة فأفتتحها عنوة ، ألقوا بأيديهم اليه ، ثم سار الى مدينة قرمونة ، فقدم اليه العلوج الذين معه ، وهى مدينة ليس بالاندلس أحصن منهـا ولا أبعد من أن ترجى بقتال أو حصار » ([15]) ، ويأتى ابن عذارى فى البيـان المغرب برواية مماثلة لرواية صاحب أخبار مجموعة ([16]) .

ويبدو أن موسى لم يفتتح مدينة شذونة وحدها ، وانما افتتح قسما كبيرا من كورتها ، بالاضافة الى المدينة نفسها ، فابن القوطية وابن حيان (عن المقرى) يؤكدان افتتاح موسى لسواحل شذونة كذلك ، ولما كانـت مدينة شذونة مدينة داخلية لاتطل على البحر ، فاننا نرجح أن تكـون فتوحات موسى قد امتدت الى نواحى أخرى مـن كورة شذونـة حتى وصلت الى ساحلها ، ونستند فى ذلك الى الروايتين اللتين اشرنا اليهما، فالرواية الأولى لابن القوطية تتضمن نصا يؤكد أن موسى مضى بقواته من الجزيرة الخضراء الى ساحل شذونة ، يقول ابن القوطية انه لما صـار موسى فى أهل العدوة « ترك المدخل الذى دخل منه طارق بن زياد وقصد الموضع المعروف بمرسى موسى ، وترك طريق طارق وأخذ فى ساحـل **شذونة** ، وكان دخوله بعد طارق على سنة » ([17]) . أما الرواية الثانية لابن حيان والتى ساقها المقرى فى نفح الطيب فنطالع فيها النص التالى: « فساروا به فى **جانب ساحل شذونة** ، فافتتحها عنوة ، والقوا بأيديهم اليه ، ثم سار الى مدينة قرمونة وليس بالأندلس أحصن منها ...» ([18])

وبعد أن أفتتح موسى شذونة وسواحلها وقرمونة ، مضى رأسا

---

(١٥) أخبار مجموعة ، ص ١٥ ، ١٦ .

(١٦) ابن عذارى ، ج٢ ص ١٣

(١٧) ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٨

(١٨) المقرى ، نفح الطيب ، ج١ ص ٢٥١ ، ٢٥٢

الى اشبيلية (١٩) ، فحاصرها حصارا طويلا استمر شهورا ، ثم افتتحها فى نهاية الأمر ، ثم تقدم منها الى لقنت Fuente del Canto ثم الى ماردة Merida . وكان عجم اشبيلية (اى اهل المدينة من القوط وبقايا اللاتين) قد فروا منها الى باجة Beja ولبلة Niebla عند حصار موسى لها ، فلما رحل موسى الى لقنت ثم ماردة انتهزوا هذه الفرصة واجتمعوا من مدينتى باجه ولبلة وانتقضوا على المسلمين ، فسير اليهم موسى بن نصير وهو بماردة ابنه عبد العزيز فى قوة من اجناده ، فاستعادها ، وقتل من ثار من اهلها ، ثم مضى الى لبلة وافتتحها ، واستقرت الامور بعد ذلك (٢٠) .

واستنادا الى ما سبق عرضه نرجح ان يكون فتح قادس قد تم على يد موسى بن نصير ، اما عند شروعه فى فتح كورة شذونة ، او عند توجهه لفتح اشبيلية ، وذلك لقرب قادس من اشبيلية .

ونصل الى الاحتمال الثالث ، وهو ان يكون فتح قادس قد تم على يد عبد العزيز بن موسى ، وكان موسى قد استخلفه على الأندلس قبل ان يخرج الى المشرق ، فاتخذ عبد العزيز من اشبيلية مقرا له ، « فضبط سلطانها ، وضم نشرها ، وسد ثغورها ، وافتتح فى ولايته مدائن كثيرة مما كان قد بقى على ابيه موسى » (٢١) . وذكر المقرى ان موسى بن نصير اختار له اشبيلية بالذات مقرا له «لاتصالها بالبحر نظرا لقربه من مكاره المجاز » (٢٢) .

---

(١٩) ابن القوطية ، المصدر السابق ، ص ٩ ــ وانظر
Anwar G. Chejne, Historia de España Musulmana, Madrid, p. 20 - Antonio Ramos Oliviera, Historia de España, la Edad Media, Mexico, 1974, P. 28.

(٢٠) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج٢ ص ١٥ ، ١٦ ــ المقرى ، نفح الطيب ، ج١ ص ٢٥٣ .

(٢١) نص الرازى نقله ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج٢ ص ٢٤

(٢٢) المقرى ، نفح الطيب ، ج١ ص ٢٥٨ .

ونستدل من النص الذى أورده ابن عذارى نقلا عن الرازى على أن عبد العزيز بن موسى أقدم بعد استقراره باشبيلية على فتح المنـاطق القريبة منها ، وقد تكون قادس من بين المواضع التى وصلت اليها قواته فى سنى امارته ، وهو مالم تنص عليه المصادر ، كما انه بعيد الاحتمال. واعتقد أن عبد العزيز كان مهتما بفتح المدائن الكبرى بغرب الأندلس مثل لشبونه وشنترين وشلب وقلمرية ، وكذلك المناطق الشرقية والشمالية الشرقية من الأندلس مثل أوريوله وتدمير وبلنسية وبرشلونه وجرنده . أما جزيرة قادس فكانت فى تقديرنا من بين المواضع التى افتتحها أبـوه من قبل استنادا لما اثبتناه من حقائق تاريخية .

(٢)

قادس فى عصر الامارة الأموية

أ ـ الغارة النورمندية الأولى على سواحل الأندلس الجنوبية الغربية سنة ٢٢٩هـ (٨٤٤م)

تصمت المصادر العربية عن ذكر قادس فى الفترة مابين فتح المسلمين للأندلس حتى بداية الغارات النورمندية ([٢٣]) على سواحل غرب

---

(٢٣) ورد اسم النورمنديين فى المصادر العربية بصورتين : أردمانيون ومجوس . ويعلل مؤرخو العرب تسميتهم بالمجوس بأنهم كانوا يشعلون النار فى كل موضع يمرون به ، فحسبهم المسلمون مجوسا لذلك (السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادى ، تاريخ البحرية الاسلامية فى المغرب والأندلس ، بيروت ، ١٩٦٩ ، ص ١٥٢) وربما أطلقت عليهم هذه التسمية تحريفا من لفظة روتسى التى كانت تطلق على صقالبة حوض نهرى الفولجا والدنيبر (حسين مؤنس ، غارات النورمانيين على الاندلس بين سنتى ٢٢٩ ، ٢٤٥ ، المجلة التاريخية المصرية ، عدد ١ مجلد ٢ ، مايو ١٩٤٩ ص ٢٦ ، والسيد عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ، ص ١٥٣) . وأما لفظة الأردمانيين » فهى محرفة من لفظة النوردمانيين ، فقد اعتاد أهل الأندلس قلب النون الى همزة مثل أربونة من نربونة . والنورمنديون جنس آرى قديم كان يسكن شبه جزيرة اسكندناوة وجزيرة جوتلند فى العصور القديمة ، ومنذ القرن التاسع الميلادى تزايدت أعدادهم فى أوطانهم ، فبدأوا فى النزوح عنها ، وخرجوا فى موجتين : الأولى شرقية عبر فيها سكان المناطق الشرقية من شبه جزيرة اسكندناوة (السويد حاليا) الى المنطقة الممتدة من بحر قزوين الى البحر الاسود والمحيطة بنهر الفولجا ، والموجة الثانية خرجت من السواحل الغربية لشبه الجزيرة الى سواحل انجلترا وايرلندا ، فى طوالع عنيفة بحيث اضطر ملوك وسكس الى التخلى عن قسم كبير من جنوب غربى انجلترا حتى عام ٩٠٠م عندما طردهم الفريد الكبير ملك وسكس . أما نورمنديو الدانمرك وهم الدانيون فقد أغاروا على بلاد افرنجة وانحدروا منها الى سواحل اشتورياس الشمالية بالقرب من خيخون ، وواصلوا شن غاراتهم جنوبا حتى جليقية ، ولكن ملك اشتورياس تصدى لهم ، فواصلوا مسيرتهم جنوبا الى أن أرسو على سواحل الاشبونة فى عام ٢٢٩هـ (٨٤٤م) . (ولمزيد من التفاصيل أرجع الى : =

الأندلس وجنوبها الغربى زمن الامير عبد الرحمن الاوسط • ويرجع السبب فى هذا الصمت المطبق الى الحوادث الخطيرة التى مرت بها الأندلس زمن الولاة ، وأبرزها الصراع الداخلى بين العرب والبربر فى الأندلس وتحوله بعد نزول جند الشاميين بقيادة بلج بن بشر القشيرى الى صراع بين الشاميين والبلديين ثم الى صراع بين العصبيتين العربيتين اليمنية والقيسية مما ادى الى نشوب حرب اهلية فى الداخل شغلت المؤرخين لهذا العصر عن الاهتمام بذكر قادس • ومن الحوادث الهامة فى عصر الولاة كذلك محاولة المسلمين فتح بلاد غالة فيما وراء البرانس ، وتتمثل فى موجات متتابعة من الحملات استمرت حتى قيام دولة بنى امية فى الأندلس •

وأول ذكر لقادس فى المصادر العربية اقترن بغارة النورمنديين الأولى على سواحل الغرب وسواحل الأندلس الجنوبية الغربية فى عهد الامير عبد الرحمن الاوسط ، فقد ابلغ وهب الله بن حزم عامل اشبونة من قبل الأمير سنة ٢٢٩هـ بقدوم اربع وخمسين مركبا للمجوس ومعها اربع وخمسون قاربا (٢٤) ، فكتب اليه الأمير عبد الرحمن والى عمال السواحل بالتحفظ (٢٥) • ومن المعروف أن غارات النورمنديين على سواحل الأندلس مرت بثلاثة مراحل : أولها وقعت فى عام ٢٢٩هـ ، وفيها تعرضت جزيرة قادس لهجماتهم مرتين ، فبعد أن ظهرت سفن النورمان عند ساحل الأشبونة فى مستهل ذى الحجة سنة ٢٢٩هـ نزلوا بساحلها ، واقاموا بها ١٣ يوما ، ووقعت بينهم وبين المسلمين وقعة عنيفة ركبوا على اثرها سفنهم ، متجهين جنوبا حتى وصلوا عند مصب نهر الوادى

=

Lévi - Provençal, Histoire de l'Espagne musulmane, t. I, P. 219.

ـ السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى ، تاريخ البحرية الاسلامية فى المغرب والاندلس ، ص ١٥٢ ـ ١٥٥) •

(٢٤) العذرى ، نصوص عن الأندلس ، تحقيق د• عبد العزيز الأهوانى مدريد ١٩٦٥ ص ٩٨ ـ ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج٢ ص ٨٧

(٢٥) ابن عذارى ، المصدر السابق ، ص ٨٧

الكبير ، وهناك تفرقت سفنهم ([٣٦]) ، فواصل بعضها السير جنوبا بحذاء الساحل الأندلسى حتى وصلت الى ساحل اقليم شذونة ، واستولى البعض الآخر على قادس ([٣٧]) ، فى حين اوغلت بعض سفنهم فى نهر الوادى الكبير نحو اشبيلية واحتلوا جزيرة قبطيل ([٣٨]) Captel ، واقام بها النورمان ثلاثة أيام ، ثم دخلوا قرية قورة Coria del Rio التى تبعد عن اشبيلية بنحو اثنى عشر ميلا ، فقتلوا من المسلمين عددا كبيرا ، الى أن وصلوا الى قرية طلياطة Tablada الواقعة على بعد ميلين من اشبيلية ، فنزلوها ليلا ([٣٩]) ، فذعر اهل اشبيلية واخلوها الى قرمونة ([٣٠]) وجبال الشرف ، وعلى هذا النحو واصل النورمان تقدمهم حتى وصلوا الى مدينة اشبيلية ، واشتبكوا مع من بقى فيها من اهلها فى معركة ضارية انتهت بهزيمة المسلمين واستباح النورمان على اثرها المدينة ٧ أيام قتلوا خلالها كل ذى روح ([٣١]) .

ولم يقف الامير عبد الرحمن امام هذه الاحداث موقف المتفرج ، فقد تحرك سريعا ، وبادر بارسال قوة عسكرية من قرطبة ، اشتبكت معهم فى معركة عنيفة ، وارغمتهم على ركوب سفنهم والرحيل الى سواحل

---

(٢٦) السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ البحرية الاسلامية فى المغرب والأندلس ، ص ١٥٥ .
(٢٧) العذرى ، المصدر السابق ، ص ٩٨ ـ ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج ٢ ص ٨٧ ، وانظر حمدى عبد المنعم حسين ، التاريخ السياسى لمدينة اشبيلية فى العصر الاسلامى ، الاسكندرية ١٩٨٧ ، ص ٤٦ .
(٢٨) العذرى ، المصدر السابق ، ص ٩٨ ـ ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج٢ ص ٨٧ .
(٢٩) ابن القوطية ، المصدر السابق ، ص ٦٣ ، وانظر ايضا السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ البحرية الاسلامية فى المغرب والأندلس ، ص ١٥٦ .
(٣٠) ابن القوطية ، المصدر السابق ، ص ٦٣
(٣١) ذكر العذرى أنهم «لم يرفعوا السيف عن كل ذى روح ظفروا به من الرجال والنساء والصبيان والدواب والأنعام والطيور وكل ما تناولته سيوفهم وسهامهم » (ص ٩٩) .

شذونة مرة ثانية ومنها الى قادس ([٣٢]) . وأحدث استنفار الأمير لقواته أثره فى استنهاض الهمم وحشد القوى ، فبادرت الاجناد الى التجمع بقرطبة ، ومن هناك توجهت الى مواقعها جنوبى اشبيلية ، وتأهبت لملاقاة النورمان الذين حشدوا قواتهم فى طلياطة ، وهناك حاصرتهم جيوش المسلمين بقيادة محمد بن سعيد بن رستم الذى نصب عليهم المجانيق ([٣٣]) ، وتم الاشتباك بين الفريقين ، وانتهى بتغلب المسلمين على النورمان ([٣٤]) ، وأحرق المسلمون عددا من سفنهم ، وقتلوا عددا كبيرا منهم ، وركب من نجا منهم مراكبهم وساروا الى لبلة ، ثم تراجعوا من هناك الى جزيرة شلطيش Saltés ، ومنها الى اكشونبة حيث نزلوا على وادیانه ، ثم رحلوا من هناك الى باجة فمدينة المعدن فالاشبونة ، وركبوا منها سفنهم فى البحر المحيط وعادوا الى بلادهم ([٣٥])

وكانت لهذه الغارة النورمندية آثار هامة وخطيرة فى تاريخ الأندلس ، فقد نبهت الأمير عبد الرحمن الاوسط ومن خلفه من أمراء بنى أمية الى ضرورة انشاء أسطول قوى يستطيع مواجهة أى غزو بحرى موجه الى سواحل الأندلس ، والاهتمام بتحصين السواحل الجنوبية والجنوبية الغربية ، فأمر فى جملة ما أصدره من أوامر بهذا الشأن بانشاء مراقب ومسالح على طول الساحل الغربى المطل على المحيط الأطلسى وشحنها بالمقاتلة ([٣٦]) ، ولا نستبعد أن تكون قادس من بين تلك

---

(٣٢) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج٢ ص ٨٨

(٣٣) العذرى ، المصدر السابق ، ص ١٠٠ — ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج٢ ص ٨٨ .

(٣٤) العذرى ، نفس المصدر ، ص ١٠٠ — ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج٢ ص ٨٨ — النويرى (شهاب الدين أحمد) ، نهاية الارب فى فنون الادب ، المجلد ٢٢ ، ص ٢٤ ، ولمزيد من التفاصيل عن هذه الوقائع انظر : السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ البحرية الاسلامية ، ص ١٥٦ ، ١٥٧ .

(٣٥) العذرى ، ص ١٠٠ — ابن عذارى ، ج٢ ص ٨٨

(٣٦) Lévi - Provençal, Histoire de l'Espagne Musulmane, t. I, p. 225 — السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ البحرية الاسلامية ، ص ١٦٠

السواحل المطلة على البحر والتى شملها الامير عبد الرحمن الأوسط باهتمامه عقب تلك التجربة المريرة التى اجتازتها بالعدوان النورمندى عليها ٠

وكانت الغارة النورمندية على سواحل الأندلس الجنوبية على هذا النحو فاتحة عهد جديد فى تاريخ الأندلس ، لانها دفعت الدولة الأموية فى الأندلس الى توجيه مزيد من الاهتمام بالبحرية ([٣٧]) عن طريق انشاء دور لصناعة السفن وآلات القتال البحرى وذلك بهدف توفير وحدات بحرية كافية للتصدى مستقبلا للغارات النورمندية اذا ما فكر النورمان من جديد فى الاغارة على السواحل الأندلسية ٠

واذا كانت المصادر العربية قد اقتصرت على ذكر دارين للصناعة انشأهما الامير عبد الرحمن الاوسط فى اعقاب الغزوة النورمندية الفاشلة احداهما باشبيلية ، ولعلها نفس دار الصناعة القوطية القديمة التى تعطلت فترة من الزمن فى العصر الأموى ، ثم عاودت نشاطها بتوجيه من الامير ، هى ودار صناعة الجزيرة ، والثانية دار صناعة قرمونة

---

(٣٧) من الأدلة التى نستند عليها فى هذا القول ماذكره ابن عذارى فى حوادث سنة ٢٣٤هـ اذ يقول : «وفى سنة ٢٣٤ أمر الأمير بتوجيه العساكر الى أهل جزيرة ميورقة لنكايتهم واذلالهم ومجاهرتهم بنقضهم العهد ، واضرارهم بمن مر عليهم من مراكب المسلمين ، فغزتهم ثلاثمائة مركب ، فصنع الله للمسلمين جميلا ، واظفرهم بهم ، وفتحوا أكثر جزائرهم » (ابن عذارى ، ص ٨٩) وهذه الرواية لابن حيان ، فقد ورد نفس النص فى كتاب المقتبس ، ونطالع فيه مايلى : «وفيها (أى سنة ٢٣٤) اغزى الامير عبد الرحمن أسطولا من ثلثمائة مركب الى أهل جزرتى ميورقه ومنورقة لنقضهم العهد واضرارهم بمن يمر اليهم من مراكب المسلمين ، ففتح الله للمسلمين عليهم ، واظفرهم بهم ٠٠٠ » (ابن حيان ، المقتبس من ابناء أهل الأندلس ، تحقيق د٠ محمود على مكى ، بيروت ١٩٧٣ ص ٢) ٠

لانتاج الأسلحة والمعدات اللازمة للسفن ([٣٨]) .

ولانستبعد أن يكون الأمير قد أتخذ من بين الاجراءات الدفاعية والوقائية التى اتخذها بعد الغارة النورمندية ، انشاء قواعد بحرية فى سواحل الأندلس الجنوبية الغربية المطلة على المحيط الأطلسى ، وكانت اشبيلية المحور الرئيسى لهذه الاجراءات ، فقد زودها بسور من الحجارة ودار صناعة بحرية ، واتخذ منها قاعدة للاسطول . ونرجح ان تكون قادس قد حظيت ببعض هذا الاهتمام باعتبارها أول المواقع الاندلسية التى تضررت من العدوان النورمندى سنة ٢٢٩هـ واتخذها النورمنديون قاعدة لهم ولسفنهم . ولانشك فى ان الامير عبد الرحمن الاوسط كان يدرك كل الادراك الاهمية الجغرافية والاستراتيجية التى كانت تمثلها جزيرة قادس كقاعدة بحرية للدفاع عن سواحل الاندلس الجنوبية وعلى الأخص عن اشبيلية ، ومن الطبيعى ان يوليها جانبا من اهتمامه وعنايته ، ربما لانها جزيرة لاترتبط بالبر الا عن طريق قنطرة أو جسر مياه هيأ لها المجال لتكون قاعدة لايواء السفن على جانبى القناطر . ثم ان اهتمام عبد الرحمن الأوسط باشبيلية دعاه الى الاهتمام بنواحيها ، فأقام بقرمونة ــ كما سبق أن ذكرنا ــ دارا لصناعة السلاح ، كما كانت قادس قريبة بدورها من اشبيلية الى حد أنها اعتبرت فى بعض المصادر من بين مدن وادى حلق اشبيلية او من كورتها . هذا الاهتمام باشبيلية يدعونا الى الافتراض بأن تكونقادس قد ظفرتبدورها بنصيبمناهتمام الأمير ، ولانستطيع أن نقطع بما يمكن أن تقدمه له هذه الجزيرة ، وأن

---

(٣٨) فيما يتعلق بدار صناعة الجزيرة الخضراء أرجع الى :
Torres Balbas, Atarazanas Hispanomusulmanas, en obra Dispersa, Vol. 3, P. 132.
وفيما يتعلق بدار صناعة قرمونة ، ارجع الى الحميرى ، الروض المعطار ، ص ٤٦١ . أما بالنسبة لدار صناعة اشبيلية فارجع الى ابن القوطية القرطبى ، المصدر السابق ، ص ٦٧ .

كنا نميل الى الاعتقاد بأنها لم تكن تصلح الا أن تكون قاعدة بحرية للأسطول الأندلسى فى البحر المحيط لقرب موقعها من اشبيلية والجزيرة الخضراء من جهة ولبه وشلطيش من جهة أخرى . ثم أن قادس ظهرت بالفعل كقاعدة بحرية هامة فى أواخر عصر المرابطين عندما اقترن اسمها باسم بنى ميمون البحريين (٣٩) . واستمرت قادس تؤدى هذه المهمة طوال عصر الموحدين . ولايمكننا أن نتصور ان ظهور قادس كقاعدة اندلسية هامة فى عصر دولتى المرابطين والموحدين (٤٠) قد حدث من فراغ ، فلابد اذن من وجود أصول قديمة لهذه الشهرة البحرية التى حظيت بها قادس زمن المرابطين والموحدين ، ونعتقد ان تكون أصول هذه الشهرة ممتدة الى عصر الأمير عبد الرحمن الاوسط الذى يؤكد المؤرخون اهتمامه الكبير بالبحرية . ونستدل من دار الصناعة التى ذكر بدرو دى مدينة Pedro de Medina فى منتصف القرن السادس عشر الميلادى أن الملك الفونسو العاشر انشأها فى الموضع المسمى بويرتو دى سانتا ماريه Puerto de Santa Maria ويقع فى حلق خليج قادس قبالة مدينة قادس نفسها (٤١) انها مثل نظيرتها التى أنشأها نفس الملك فى اشبيلية على اسس اسلامية ، انه ربما اقيمت هى الأخرى على أسس دار صناعة اسلامية الانشاء . ولكننا لانستطيع أن نقطع بذلك طالما لم تسعفنا المصادر العربية والاسبانية بما يؤكد ذلك .

---

(٣٩) ابن الابار ، الحلة السيراء ، ص ١٩٣ وما يليها ـ عبد الواحد المراكشى ، المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ، نشره الأستاذان محمد سعيد العريان ، ومحمد العربى العلمى ، القاهرة ١٩٤٩ ، ص ٢١٠ ـ البيذق ، أخبار المهدى ، ص ١٠٧ ـ ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص ٢٤٨ـ الحميرى ، الروض المعطار ، ص ٤٤٨ ـ ياقوت ، معجم البلدان ، مادة قادس ـ المقرى ، نفح الطيب ، ج١ ص ١٥٧ .

(٤٠) ابن عذارى ، البيان المغرب ، الجزء الخاص بالموحدين ، ص١٤٤

(٤١) L. Torres Balbas, Atarazanas Hispano musulmanas, P. 164.

ب ـ الغارة النورمندية الثانية سنة ٢٤٥هـ :

لم يرد ذكر قادس فى المصادر العربية بين أسماء المدن التى اغار عليها النورمنديون فى غارتهم الثانية على سواحل الأندلس سنة ٢٤٥هـ فى عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن . ومع ذلك فاننا نستنتج من خلال تتبعنا لمسار هذه الغارة ان تكون قادس قد تعرضت هـذه المرة أيضا للعدوان النورمندى .

بدأ النورمنديون غارتهم الثانية بالهجوم على الساحل الجليقى ، ولما واجهوا من الجلالقة مقاومة عنيفة ، اضطروا الى متابعة السير جنوبا بمحاذاة الساحل الغربى لشبه جزيرة ايبيريا (٤٢) ، الى ان وصلوا الى مصب نهر الوادى الكبير . وكان الامير محمد قد استعد للتصدى لهم والاشتباك معهم ، فاعد قواته عند مدخل نهر اشبيلية ، وهناك دارت معركة حامية بينهم وبين المسلمين انتهت بهزيمة النورمنديين ، واضطروا الى متابعة سيرهم الى الجزيرة الخضراء (٤٣) ، فتغلبوا عليها ، وأحرقوا مسجدها الجامع . ويغلب على الظن انهم مروا بسفنهم على قادس أثناء توجههم الى الجزيرة الخضراء ، اذ كانت اولى مدن الأندلس التى تعرضت فى الغارة الاولى سنة ٢٢٩هـ لعدوانهم . ويبدو ان

---

(٤٢) العذرى ، المصدر السابق ، ص ١١٨ ـ ابن عذارى ، البيان المغرب ج٢ ، ص ٩٦ وانظر أيضا :
Lévi - Provençal, op. cit. t. I, p. 310.
ـ السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ البحرية الاسلامية فى المغرب والأندلس ، ص ١٦٢ ، ١٦٣ .

(٤٣) الحميرى ، الروض المعطار ص ٢٢٣ . يقول الحميرى : « وعلى البحر بين القبلة والشرق من مدينة الجزيرة مسجد سرى يعرف بمسجد الرايات ركزت فيه المجوس راياتها ، فنسب اليها ، وله باب من خشب سفن المجوس » . وذكر ابن حيان انهم احتلوا بالجزيرة الخضراء وتغلبوا عليها واستباحوها ، واحرقوا المسجد الجامع » (ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق د. محمود على مكى ، ص ٣٠٨) كذلك يذكر العذرى انهم تغلبوا على الحاضرة (الجزيرة الخضراء) (العذرى ، ص ١١٩) .

النورمنديين عمدوا بعد أن أدركوا استعداد اهل الاندلس للتصدى لهم الى التظاهر بالعدول عن توجيه غارتهم الى سواحل الأندلس ، فتركوا الجزيرة الخضراء وجازوا الى العدوة ، فاستباحوا مدنها ، واغاروا على مدينة نكور (٤٤) ، ثم فاجأوا المسلمين فى الأندلس بالاغارة على سواحل الأندلس الشرقية فى هذه المرة ، وبدأوا بساحل كورة تدمير ، وتوغلوا فى اقليمها (٤٥) .ثم رحلوا بعد ذلك الى ساحل فرنسا الجنوبى واشتوا فى جزيرة كاماريا الواقعة جنوبى نهر الرون » (٤٦) . وعاد النورمنديون بعد انقضاء فصل الشتاء الى الاغارة على سواحل الأندلس ، وكانت سفن المسلمين بقيادة سبش بن كشوح (٤٧) وخشخاش البحرى قد استدارت من قواعدها فى جنوب غرب الأندلس ولاقتهم بريف شذونة ، فأصاب المسلمون من مراكبهم مركبين ، واستشهد خشخاش فى هذه المعركة البحرية (٤٨) .

ونستنتج مما سبق أن الموقعة البحرية المذكورة دارت على مقربة من مياه جزيرة قادس . وعلى الرغم من ابحار سفن النورمان شمالا تجاه مملكة نبارة ، الا ان النورمان عاودوا الظهور بسفنهم من جديد سنة ٢٤٧هـ على مقربة من ساحل الجزيرة الخضراء (٤٩) . ومن المحتمل

---

(٤٤) البكرى ، المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب ، نشر دى سلان ، الجزائر ١٩١١ ، ص ٩٢ ـ ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج٢ ص ٩٦ .
(٤٥) ابن عذارى ، المصدر السابق ، ص ٩٦ .
(٤٦) حسين مؤنس ، غارات النورمانيين ، ص ٧١ ـ السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ البحرية ، ص ١٦٥ .
(٤٧) ذكر ابن حيان ان اسمه قرقاشيش بن شكوح فى حين ذكره العذرى فى صورة .. سبش بن كشوح (ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق د. محمود مكى ، ص ٣٠٩ ـ العذرى ، ص ١١٩) .
(٤٨) ابن حيان ، المصدر السابق ، ص ٣٠٩ ـ العذرى ، ص ١١٩ ـ ابن عذارى ، ج٢ ص ٩٧ .
(٤٩) ابن حيان ، المصدر السابق ، ص ٣١١ ـ العذرى ، ص ١١٩

ان سفنهم مرت بجزيرة قادس اثناء سيرها الى الجزيرة الخضراء ، ومن المحتمل أيضا انها أرست بعض الوقت فى المرسى الذى يسميه الزهرى بمرسى المجوس ([٥٠]) . ونستدل من رواية الزهرى ان النورمنديين واصلوا غاراتهم على سواحل الأندلس الجنوبية حتى سنة ٥٤٥هـ التى هدم فيها منار قادس وصنمها . ومنذ ذلك الحين توقفت غاراتهم تماما على الأندلس ، ولم تتعطل فى البحر حركة ولا سفر الا هذه الحركة التى للمجوس بسبب تلك المنارة » ([٥١]) .

ج ـ هواية الصيد بقادس زمن الأمير محمد بن عبد الرحمن :

أورد ابن حيان خبرا عن قادس زمن الأمير محمد ، نستنتج منه أن الأمير محمد كثيرا ما كان يذهب الى جزيرة قادس لممارسة هوايته فى الصيد مما يدعونا الى الاعتقاد بأن قادس اشتهرت كمنطقة من المناطق المخصصة للصيد ، ربما لتوافر غاباتها وغيضاتها مما يفسح المجال لتوافر بعض الحيوانات البرية كالغزلان والأيايل والارانب الجبلية وغيرها . يقول ابن حيان : «لما دخل الامير محمد جزيرة قادس فى بعض متصيداته الى الغرب ـ وكان بعيد المذهب فيها على رسم والده عبد الرحمن ـ ضرب أخبيته حول الصنم المنسوب اليها ـ وهو من عمل الأوائل ، وله شأن فى الحكمة ، أتى هذا الصنم فنظر اليه مليا ، فطاف بجهاته ، فأراد ان يختبر قوة بنائه ويتقضى شأنه ، فلم يجد سبيلا الى ذلك الا من قبل النار القوية ، فأمر أهل الجهة بجلب الحطب اليه والاحداق به والاستكثار من ذلك ، والاعتيام لجزله ، فجمع حوالى الصنم من أجناس الحطب أمر عظيم حتى كاد يساوى الشخص الانسانى الممثل بذروته مشيرا بتمثال مفتاح فى يده أو يقاربه ، ثم امر بايقاد النار فيه ،

---

(٥٠) الزهرى ، ص ٩٢ .

(٥١) الزهرى ، ص ٩٢ .

فلما تأججت واحتدمت ، هبت عليها ريح عاصف من تلقاء الصنم فرقت النار واخمدت لهبها ، وصارت شعلها الى اخبية الامير محمد فعلقت بها ، واشتعل كثير منها ، فارتاع محمد لهول ما عاين من ذلك هو ومن معه ، ونادى فيهم بالرحيل عن مكانه ذاك ، وابتدر الركوب ذاهبا عنه، ولم يكد ينجو الا بعد ان فقد كثيرا من آلته وعدته بالنار ، واشتد عليه ... » (٥٣) .

وربما ساعد ذلك الحادث على ترويج ما اشيع من تنبؤات حول مصير قادس وبعض مدن الأندلس الأخرى اذا ماتعرض الصنم للهدم .

د ـ قادس فى عصر دويلات الطوائف الأول (٢٧٢ ـ ٣٠٠هـ)

بوفاة الأمير محمد بدات الأندلس عهدا جديدا شهدت فيه الوانا من الفوضى والاضطراب والتمزق السياسى ، فقد زالت هيبة الامارة ، التى اصبحت عاجزة عن الصمود امام تيار الفتنة الجارف الذى بدا يجتاح الأندلس ، وتجرات الطوائف المختلفة على شق عصا الطاعة على السلطة المركزية بقرطبة والانتزاء بنواحيها ، واصبحت الأندلس لاختلال ميزان الأمن جمرة تحتدم ونارا تضطرم .

كانت المعالم الأولى للفتنة قد اخذت فى الظهور ايام الأمير محمد بن عبد الرحمن (٥٣) الذى قضى معظم سنى حكمه فى كفاح متواصل

---

(٥٢) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق د. محمود مكى ، ص ٢٧٨

(٥٣) اشتعلت نيران الثورة فى مناطق مختلفة من الأندلس فى عهد الامير محمد ، ومن هذه الثورات ثورة اهل طليطلة فى ربيع الثانى سنة ٢٣٨هـ وهو العام الذى تولى فيه الامير محمد امارة الأندلس ، ولم يتردد ثوار طليطلة المولدون فى الاستعانة باردون بن ردميره Ordoño I ملك اشتورياس الذى قدم لهم كل عون ، فارسل اليهم جيشا بقيادة اخيه غتون Gaton قومس بيرزو Bierzo ولكن الامير محمد خرج بنفسه سنة ٢٤٠هـ (٨٥٤م) الى وادى =

بهدف جمع الكلمة ، ولم الشعث ، والضرب على ايدى الثوار • واذا

= سليط أحد روافد وادى تاجه بالقرب من طليطلة ، ونصب عدة كمائن فى التلال المطلة على الوادى ، وتمكن بفضل تلك الكمائن من التغلب على غثون • وفى سنة ٢٤٢هـ (٨٥٦م) ارسل الأمير محمد ولده المنذر بالصائفة الى طليطلة ، فحاصرها وخرب كل ما يليها من مناطق • وفى سنة ٢٤٣هـ تجددت ثورة أهل طليطلة واغاروا على طلبيرة القريبة من طليطلة ، فتصدى لهم عامل المدينة من قبل الأمير محمد واوقع بهم • وفى عام ٢٤٥هـ (٨٦٨م) اذعنت طليطلة بالطاعة للامير مدة عشر سنوات ، ولكنهم نكثوا بعهدهم ، وتجددت ثورتهم فى سنة ٢٥٤هـ (٨٦٨م) ولم يتردد الأمير فى الخروج اليهم بحشود ضخمة فى هذه السنة ، وتمكن من اخضاعهم فى سنة ٢٥٩هـ. وولى عليهم طربيشه بن مسونه المولد (ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق د• محمود على مكى ، ص ٢٩٥ - ٣٠٤ ، ٣٠٥ - ٣٠٧ ، ٢٢١ - ٣٢٣ ، ٣٢٩ - ٣٣٠ ، وابن عذارى ، البيان المغرب ، ج٢ ص ٩٤ - ٩٦ ، ١٠١ • وانظر أيضا حمدى عبد المنعم محمد حسين ، أضواء جديدة حول ثورات طليطلة فى عصر الامارة الأموية ، الاسكندرية ١٩٨٨ ، ص ٥٩ - ٧٥) •

ومن هذه الثورات ايضا ثورة عبد الرحمن بن مروان الجليقى فى ماردة ، ورحيله الى بطليوس ،ورفعه راية العصيان بها واستقلاله عن الامارة الاموية بقرطبة اثر اختلافه مع الوزير هاشم بن عبد العزيز فى قرطبة • واستعان ابن الجليقى فى ثورته بسعدون السرنباقى الثائر فى منت شلوط Monsalud ، وراسل الفونسو الثالث بن أردون الأول ملك اشتورياس وقد حاول الأمير محمد اخماد ثورة عبد الرحمن الجليقى ، فكان يبعث الحملات العسكرية لاخضاعه عاما بعد عام (٢٦٣ - ٢٧١هـ) دون جدوى ، واضطر اخيرا الى الموافقة على أن يستقل ببطليوس وماردة ونواحيهما (ارجع الى ابن القوطية ، ص ٨٩ ، ٩٠ - ابن حيان ، المقتبس القسم الخاص بالامير عبد الله ، تحقيق ملشور انطونية ، ص ١٥ - والقسم الخاص بالامير محمد ، تحقيق الدكتور محمود مكى ، ص ٣٤٣ - الحميرى الروض المعطار ، ص ٩٣ (وان كان يخطىء فى ارجاع انشاء بطليوس الى الأمير عبد الله) • وارجع أيضا الى

Codera, los Beni Meruan en Merida y Badajoz, Madrid, 1917, P. 30

- سحر السيد عبد العزيز سالم ، التاريخ السياسى لبطليوس الاسلامية رسالة ماجستير ، ص ٢٠٨ - ٢٤٣ • =

كان الأمير محمد قد نجح الى حد كبير فى الحفاظ على شعار وحـدة الامارة وحرمتها وهيبتها ، فان الزمام فى عهد خلفه الأمير المنذر افلت تماما من يديه ، بحيث استعصى عليه أن يعيد الأندلس الى سابق وحدتها ويرد اليها كيانها ، ومع ذلك فقد حاول صادقا ان يشدد قبضته عـلى زمام السلطة ، فاقدم على حبس هاشم بن عبد العزيز ، اكبر وزراء أبيه الأمير محمد واقربهم اليه ، وقتله ، اذ كان هاشم هذا مغرورا بنفسـه حقودا ، أفسد الأمور فى الدولة وكان سببا من أسباب اذكاء نيران الفتنة خاصة فى غرب الأندلس (٥٤) .

ثم توفى الأمير المنذر فى سنة ٢٧٥هـ وخلفه أخوه عبد الله ، وكانت نار الفتنة قد احتدمت فى شتى أنحاء الأندلس ، فابن حفصون استقـل ببشتر وكورة رية ، وديسم بن اسحق فى لورقة ومرسية وما يليهما مـن كورة تدمير بشرق الأندلس ، وابراهيم بن حجاج باشبيلية وقرمونة ، وابن الجليقى ببطليوس والغرب ، وعبد الملك بن أبى الجواد بباجة ،

= كذلك ثار سليمان بن عبدوس فى سريه Soria سنـة ٢٥٥هـ ، وعمروس الوشقى سنة ٢٥٦هـ فى وشقة ، ومطرف واسماعيـل بن لب ، ويونس بن زنباط فى الثغر (تطيلة وسرقسطة) سنة ٢٥٨هـ ، وحارث بن حمدون من بني رفاعة فى مدينة الحامة من كورة رية سنة ٢٧٣هـ ، وعمر بن حفصون فى ببشتر سنة ٢٦٧ ، ولب بـن مندريل فى جبل الجزيرة (انظر ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق ملشور ، ص ٨ - ٣٣ - ابن القوطية ، ص ٩١ - ٩٢ - ابن عذارى، البيان ، ج٢ ص ١٠٠ - ١٠٦ . ولمزيد من التفاصيل انظر السـيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس ، ص ٢٤٤ - ٢٥٠) .

(٥٤) يعتبر عبد الرحمن بن مروان الجليقى زعيـم الثوار فى غـرب الأندلس ، وكان قد فر من قرطبة فى سنة ٢٦١ هـ (٨٧٠م) اثـر مشادة وقعت بينه وبين هاشم بن عبد العزيز الوزير الاثير عنـد الامير ، فقد أمر هاشم بصفع قفاه واستذله بأن نعته بأن الكلب خير منه ، وكان ذلك السبب الذى دفعه الى الفرار الى غـرب الاندلس وقيامه بالثورة الكبرى فى هذا الاقليم (ابن عذارى ، ج٢ ص ١٠٢ - ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ص ٢١) .

ويحيى التجيبى بسرقسطة ، وخير بن شاكر بشوذر ، وبنى هابل بـن هذيل بجيان ، ومحمد بن لب القسوى فى الثغر الأعلى ، وبكر بن يحيى بن بكر بشنت مرية ، وعمر بن مضم الهترولى الملاحـى بقرى كـورة جيان ، وخليل وسعيد ولدا المهلب بكورة البيرة ، وغيرهم (٥٥) .

ونستدل من رواية ابن حيان على أن قادس حذت حذو غيرها من مدن الأندلس فى الخلاف ، واقدم اهلها على رفع لواء الثورة وشق عصا الطاعة على حكومة قرطبة ، يقول ابن حيان فى سياق حديثه عن جهـود جيش الامارة فى القضاء على الثوار المنتزين بكورة شذونة : « وانتقـل العسكر الى حصن امريقه على وادى لكة من شذونة متتبعا مواطن اهل الخلاف ، منتسفا نعمهم ، ثم احتل بحاضرة قلسانة ، ثم اتى مدينـة شريش منها ، فأقام فيها اياما ، ووفد عليه اهل شذونة والجزيرة مذعنين بالطاعة ، وجاءه اليها ابن عمرون فى عسكر لبلة ، ثم رحل الى مدينـة ابن السليم ، فتوثق من أهلها وأخذ رهنهم فأمنهم ، ثم قصد الى حصن ببشتر ... ثم دخل الى جزيرة قادس ، ثم دعا الى حاضرة قلسانة ، فاقام بها عدة أيام ، وحصن قصبتها وثقفها وشحنها بالأقوات » (٥٦) .

ولكن هذا النص لايشير الى اسم قائد الثورة بجزيرة قادس ، ولكن من الممكن الاستدلال الى اسمه من خلال دراستنا لأسماء الثوار الذيـن تزعموا الثورات فى كورة شذونة أو الكور المصاقبة لها .

وأبرز الثوار الذين انتزوا فى كورة شذونة والمناطق القريبة مـن جزيرة قادس هم :

---

(٥٥) لمزيد من االتفاصيل عن هؤلاء الثوار ارجع الى ابن حيان القسم الخاص بالامير عبد الله ، تحقيق ملشور ، والسيد عبـد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين ، ص ٢٤٣ ـ ٢٧٥ .
(٥٦) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق ملشور ، ص ١١٢ .

١ ـ طالب بن مودود الموروری ، الثائر فی مورور

٢ ـ منذر بن ابراهيم بن محمد بن السليم ، الثائر فی مدينة ابن السليم المنسوبة الی بنی السليم بكورة شذونة .

٣ ـ محمد بن عبد الكريم بن الياس ، الثائر بقلعة ورد من شذونة

٤ ـ سليمان بن محمد بن عبد الملك الشذونی ، الثائر بشريش من كورة شذونة أيضا .

أما الثائر الاول وهو طالب بن مودود وهو من العرب المضرية (٥٧) فقد انتزی بمورور ونواحيها ، وابتنی حصن منت فيق علی نهر وادی ايره (٥٨) . وكان لطالب بن مودود دور فی اذكاء الفتنة التی اشتعلت نيرانها فی اشبيلية زمن الأمير عبد الله .

وأثناء اندلاع نار الفتنة انقسم أهالی اشبيلية الی فرق ثلاثة : الفرقة الأولی منها كانت تتألف من الموالی والمولدين من أهلها ، وقد تحالفوا مع العرب المضرية والبربر البتر من أهل كورة مورور . والفرقة الثانية تزعمها كريب بن عثمان بن خلدون من العرب اليمنية ، وقد تحالفت هذه الفرقة مع سليمان بن محمد بن عبد الملك الثائر بشذونة ، وعثمان بن عمرون الثائر بكورة لبلة ، وكلاهما ينتسب الی العرب اليمنية . أما الفرقة الثالثة ، فكانت حيادية تضم عرب قريش ومنهم عبد الله

---

(٥٧) ابن حيان ، نفس المصدر ، ص ١٢٨ . وفی ذلك يقول ابن حيان: « وقتل (القائد ابو العباس أحمد بن محمد بن أبی عبدة) فی غزوته هذه من المضرية علی المعصية طالب بن مودود المنتزی بمورور » .

(٥٨) ابن حيان ، المصدر السابق ، ص ١١١

بن الأشعث ، وتضم أيضا موالى الامويين امثال عثمان بن العمر بــن أبى عبده ، ووهب بن بسيل ([٥٩]) .

وقد برز دور طالب بن مودود المورورى فى احداث اشبيلية عندما تعقدت الامور بها عقب مصرع محمد بن غالب المولد صاحب حصن شيت طرش Siete Torres ([٦٠]) . فقد اثار مصرع محمد بن غالب طائفة المولدين ، فأقبلوا على الامير محمد بن الامير عبد الله بن عبــد الرحمن يطلبون منه أن يسلمهم مفاتيح ابواب المدينة حتى يشعــروا بالأمان ، فأجابهم لطلبهم ، ثم وثبوا بعاملهم امية بن عبد الغافر ، واستنجدوا بطالب بن مودود ، فسير اليهم جيشا يتألف من فرسان مــن العرب المضرية وحلفائهم البربــر البتر ، وفى ذلك يقــول ابن حيان : «فاستجاشوا المعروف بابن مولود (يقصد ابن مودود) الثائر بكورة مورور، بذمة الحلف على أن لم يكن على دعوة المولدين ، فعاقدوه على حرب السلطان،فأرسل اليهم جيشا منفرسانالعرب مندعوة مصر ومن حلفائهم من بتر البربر للحلفالذى كانبينهم قديما،فلما صاروا عندهم قويت بهم نفوسهم ، فثاروا ثورة عظيمة وقصدوا دار أميــة بالمدينــة ، فجاؤوه يريدون الفتك به ، ووقع عليه الخبر قبل تلاحقهم » ([٦١]) .

ويذكر ابن حيان أن الأمير المطرف بن الأمير عبد الله خرج فى سنة ٢٨٢هـ فى صائفة وبصحبته القائد عبد الملك بن عبد الله بن أمية ،

---

(٥٩) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج٢ ص ١٣٤ ، ١٣٥ ـ وانظــر السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس ، ص ٢٦٩ .

(٦٠) لمزيد من التفاصيل عن احداث اشبيلية فى هذه الفترة أراجع الى: ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق ملشور ، ص ٦٧ ــ ٨٥ ، السـيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهــم فى الأندلس ، ص ٢٦٩ ــ ٢٧٥ ، حمدى عبد المنعم حسين ، التاريخ السياسى لمدينة اشبيلية فى العصر الأموى ، الاسكندرية ، ١٩٨٧ ، ص ٧٨ .

(٦١) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق ملشور ، ص ٧٤ ــ السيد عبــد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين ، ص ٢٧٢ .

فتوجها الى اشبيلية وشذونة ([٦٢]) ، وفى الطريق اقدم الأمير المطرف على قتل القائد ابن أمية ، وولى على قيادة الجيش مكانه أحمد بن هاشم بن عبد العزيز . ثم انه خاطب زعماء الثورة فى هذه المنطقة يدعوهم الى الالتزام بالطاعة ، فأستجاب له أهل المنطقة ، واقبلت عليه وفود من اشبيلية وشذونة ولبلة يؤكدون ولاءهم للامير ، فلم يسعه الا الرحيل، واتخذ وجهته الى ابن برسيس الثائر ، ثم تحرك العسكر بعد ذلك الى حصن منت فيق مقر طالب بن مودود ، فنازل الجيش اهل الحصن والثوار ، وافسدوا زروع المنطقة ، واحرقوا القرى ، مما اثار غضب أهل الحصن ، فاشتبكوا مع عسكر الأمير فى قتال عنيف ، وفى اثناء المعركة ولى ابن سالم الاستجى واتباعه من عسكر الامارة الأدبار ، وانسحبوا من صفوف جيش الامارة وانضموا الى قوات طالب بن مودود، الأمر الذى دفع احمد بن هاشم قائد العسكر الى حث بقية عسكره على الاستماتة فى القتال ، ودارت معركة ضارية ظهر هذا اليوم انتهت بهزيمة قوات طالب بن مودود ، فاضطر الى التحصن فى حصن اقوط ([٦٣]) . وواصل عسكر قرطبة تخريب المنطقة ، وعاثوا فسادا فيها ، وارغموا طالب بن مودود على بذل الطاعة فأخذوا رهائن من اتباعة ، واشهد على أمانه ، وعندئذ رحل عسكر قرطبة الى منطقة أخرى .

غير أن جنوح ابن مولود للطاعة لم يستمر طويلا ، فلم يلبث ان نكث بعهده مع الأمير عبد الله ، مما أضطر الأمير الى توجيه حملة ضده بقيادة القائد ابى العباس أحمد بن محمد بن أبى عبدة ، وفى ذلك يقول ابن حيان : «واغير مع ذلك على زرع برديس ولقندر وقصر ابن غراب بمورور وما والاها من حصون الناكثين ، ومشى العسكر حتى احتل بقلسانه » ([٦٤]) . وفى هذه الأثناء تحالف طالب بن مودود مع الثائر

---

(٦٢) ابن حيان ، نفس المصدر ، ص ١١٠
(٦٣) نفس المصدر ، ص ١١٢ .
(٦٤) نفسه ، ص ١١٩ .

عمر بن حفصون الأمر الذى دفع القائد ابن أبى عبدة الى الخروج اليه بكورة موررور فى صائفة عام ٢٨٧هـ ، وحاصرها حصارا محكما وانتهى الأمر بقتل ابن مودود (٦٥) . وأما الثائر الثانى فهو منذر بن ابراهيم بن محمد بن السليم بن أبى عكرمة (٦٦) جعفر بن يزيد بن عبد الله مولى سليمان بن عبد الملك ، وينتسب الى أسرة بلغت شأوا عظيما فى النباهة والفضل . أما محمد ابن السليم جد هذا الثائر فقد كان من كبار قواد عبد الرحمن الأوسط ووزيرا من وزرائه ، واشتهر بثرائه العريض اذ كانت له مع منصب الوزارة خطط يرتزق عليها فى كل شهر ٣٠٠ دينار (٦٧) . كذلك أسند اليه الأمير عبد الرحمن ولاية طليطلة فى شوال سنة ٢٣٢هـ بدلا من حارث بن بزيغ (٦٨) ، فاقام على ولايتها عاما واحدا ثم عزله عنها فى شعبان سنة ٢٣٣هـ ، وولى عليها أخاه أيوب ابن السليم (٦٩) الذى عزل عنها بدوره فى العام الذى يليه .

والى محمد بن السليم تنسب مدينة ابن السليم التى يذكرها كل من الادريسى (٧٠) والحميرى (٧١) ، على أنها نفس مدينة شذونة التى ثار فيها حفيده منذر بن ابراهيم . ويذكر ابن حيان أن منذر هذا ثار بمدينة ابن السليم المنسوبة اليهم من كورة شذونة فى أيام الأمير عبد

---

(٦٥) نفسه ، ص ١٢٨ - ابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ص ١٣٩

(٦٦) يذكر ابن القوطية أن أبا عكرمة جعفر بن يزيد ، جد بنى السليم الشذونيين كان هو الذى عقد بقناته لواء عبد الرحمن الداخل قبل موقعة المصارة ، «فلم توجد فى جميعه الا قناة أبى الصباح المتقدم ذكره وقناة لأبى عكرمة جعفر بن يزيد ، جد بنى السليم الشذونيين ، فعقد له فى أحدهما » . (ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٢٦) .

(٦٧) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق د. محمود مكى ، ص ٢٨

(٦٨) ابن حيان ، نفس المصدر ، ص ١ .

(٦٩) ابن حيان ، نفسه ، ص ٢

(٧٠) الادريسى ، المصدر السابق ، ص ١٧٧ .

(٧١) الحميرى ، المصدر السابق ، ص ٤٦٦ .

الله ، وتقع مدينة ابن السليم على مقربة من قادس ، وظل منذر مستقلا بهذه المدينة الى أن قتله مملوك له اسمه غلنده Galindo ، وخلفه أحد أقربائه ويدعى وليد بن وليد الذى اذعن بالطاعة للخليفة عبد الرحمن الناصر (٧٣) ٠

والثائر الثالث هو محمد بن عبد الكريم بن الياس الذى امتنع بقلعة ورد من كورة شذونة بلده ، وقد منحه الأمير عبد الله اسجالا على قلعة ورد ، فقبل الاسجال له على بلده ، وظل الأمر كذلك الى أن ولّى عبد الرحمن بن محمد الامارة ،فأقره بحصنه ،ثم استنزله واستقدمه الى

---

(٧٢) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق ملشور ، ص ٢٣ ، ٢٤ - ابن عذارى ، البيان ، ج٢ ص ١٣٥ - السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين ، ص ٢٥٩ ٠ وقد برز من رؤساء هذه الأسرة بالاضافة الى من سبق أن اشرنا اليهم سعيد بن محمد بن السليم الذى كان من بين حجاب الأمير عبد الله ، وكان قد تولى خطة السوق ، فاثبت كفاية فى ادارتها «وضبط أمر العامة ، وظهرت منه صرامة اكسبته مهابة » (ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق انطونية ملشور ، ص ٥ ، ٥٣) ٠ وارتفعت منزلته لدى الامير عبد الله فولاه الوزارة ثم ولاه الحجابة بالاضافة الى الوزارة فى سنة ٢٧٥هـ ٠ وتوفى سعيد فى ٤ ربيع آخر سنة ٣٠٢هـ (٩١٤هـ) (ابن عذارى ، ج٥ ص ١٦٧) ٠ ومنهم سعيد بن المنذر بن السليم الذى كان من بين قادة الخليفة عبد الرحمن الناصر (ابن القوطية ، ص ١١٥ ، الحميرى ، الروض المعطار ، ص ٥٩ مادة اشبيلية) ٠ وقد استعمله الناصر على اشبيلية بعد افتتاحه لها سنة ٣٠١هـ ، فهدم سعيد بن المنذر سور اشبيلية حتى يتعذر على الثوار مستقبلا الامتناع بداخلها ، واقام القصر القديم المعروف بدار الامارة ، وحصنه بسور من الحجر (الحميرى ، الروض المعطار ، مادة اشبيلية ، ص ٥٨) ٠ ومنهم أيضا محمد بن اسحق بن السليم (ت ٣٦٧هـ) وكان قد قلده الحكم المستنصر قضاء قرطبة فى سنة ٣٥٣هـ (النباهى المالقى ، تاريخ قضاة الاندلس ، بيروت ١٩٨٣ ، ص ٧٥ وما يليها ، وانظر ابن العطار القرطبى ، الوثائق والسجلات ، نشر وتحقيق د٠ بدرو شالميتا ود٠ كورينطى ، مدريد ١٩٨٣ ص ٥٩٤) ٠

جواره بقرطبة [٧٣] ، فكرم الأمير منزلته بها [٧٤] .

أما آخر الثوار بكورة شذونة فهو سليمان بن محمد بن عبد الملك الشذونى الثائر بشريش واركش من كورة شذونة ، وهو من أوائل الثوار بهذه الكورة فى بداية عهد الأمير عبد الله عندما «انتقضت كورة شذونة على السلطان وصار أهلها الى الخلعان ، فاتصلت فتنتها بكورة الجزيرة ورية ولبلة ، واضطرمت البلاد نارا ، وازداد السلطان عجزا » [٧٥] . وكانت بداية ظهوره واشتهار أمره فى عام ٢٧٦ هـ عندما تحالف مع كريب بن عثمان بن خلدون الثائر باشبيلية ، وعثمان بن عمرون الثائر بكورة لبلة ، وجنيد بن وهب القرمونى من بربر البرانس [٧٦] .

وسليمان بن محمد بن عبد الملك هذا عربى ، ويمنى الأصل ، ينتسب الى لخم ، وقد تعصب وحلفاؤه للعرب ضد المولدين والموالى[٧٧] وكان قد ابتنى لنفسه حصنا بكورة شذونة عرف باسم حصن نبريشة [٧٨] Lebrija . وحدث أن أرسل كريب بن عثمان الملقب بمهدى [٧٩] الى سليمان الشذونى فى حصنه بنبريشه يسأله العون ، فاستجاب سليمان الشذونى لنداء كريب ، وحشد له جماعة من الثوار الخارجين على الطاعة ، وتمكن بفضلهم من الاغارة على جزيرة المنذر بن عبد الرحمن

---

(٧٣) ابن عذارى ، البيان ، ج٢ ص ١٣٦
(٧٤) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق انطونيه ملشور ، ص ٢٤
(٧٥) ابن حيان ، المصدر السابق ، ص ٥٢ .
(٧٦) ابن حيان ، المصدر السابق ، ص ٦٨ .
(٧٧) نفس المصدر ، ص ٦٨ .
(٧٨) يقع هذا الحصن بالقرب من بلدة أو موضع يعرف باسم الخور (ابن حيان ، المقتبس ، ص ٧٢) ولم نتوصل الى معرفة موقعه على وجه التحديد .
(٧٩) ابن حيان ، المقتبس ، نشر ملشور ، ص ٧٢ . وكان مقره قرية بشرف اشبيلية يقال لها البلاط كان ينزلها قوم من الحضارمة

عم الأمير عبد الله ، وكان يعرف بالأسلية ، وقتلوا القائم بأمرها ، وعنموا ما كان بها من الرمك والبقر (٨٠) .

ولايهمنا من تفاصيل هذه الوقائع سوى ابراز دور سليمان الشذونى فى اذكاء نار الفتنة فى اشبيلية ، وانتزائه بكورة شذونة ، ومظاهرته لكريب بن خلدون فى شق عصا الطاعة على الأمير عبد الله . وشارك سليمان بن محمد الشذونى فى ثورته اخوه مسلمة (٨١) ، ولكن الأمير عبد الله تمكن من القبض على ابراهيم بن حجاج وخالد بن عثمان ومسلمة بن عبد الملك ، وأوثقهم فى الحديد وزج بهم فى سجن قرطبة (٨٢) وانتهز المطرف بن الأمير عبد الله فرصة اعتقاله لهؤلاء وتقدم الى كورة شذونة ، فافتتح حصن نبريشة فى ذلك العام وأخرج سليمان بن عبد الملك الشذونى عنه (٨٣) . ولكن أهل الحصن لم يلبثوا أن عادوا الى النكث والعصيان بعد رحيله عنه . ويذكر ابن حيان أن بعض وزراء الامير عبد الله اشار عليه باطلاق المحبوسين عنده ، وقال له : «ان حبسهم عن حصونهم مما لايؤمن معه تغلب ابن حفصون عليها ، وهم على كل حال أضعف شوكة منه ، وان توثق منهم بالأمان ومن عليهم بالاطلاق شكروا حادث النعمة ، وسدوا بلادهم عن ابن حفصون . فعمل الأمير برأيه وأطلق عامتهم » (٨٤) .

---

(٨٠) ابن حيان ، المصدر السابق ، ص ٧٢ .
(٨١) ابن حيان ، نفس المصدر ، ص ٧٩ .
(٨٢) نفسه ، ص ٧٩ ، ٨٠ ـ ابن خلدون ، كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر ، طبع بيروت ، ١٩٦٨ ج٤ ص ٢٩٦ .
Lévi Provençal, Histoire, t. I, p. 366.
وانظر ايضا : حمدى عبد المنعم ، التاريخ السياسى لاشبيلية ، ص ٨٠ ، ٨١
(٨٣) ابن حيان ، المقتبس ، المصدر السابق ، ص ٨٠
(٨٤) ابن حيان ، نفس المصدر ، ص ٨٠ ـ وانظر حمدى عبد المنعم ، التاريخ السياسى لمدينة اشبيلية ، ص ٨٩ .

وهكذا نرى ان الأمير عبد الله يطلق أسراه ومن بينهم مسلمة الشذونى ، اذ كان يحدوه الأمل فى أن يكونوا سدا امام ابن حفصون ، ولكن هؤلاء الثوار ما أن عادوا الى مدنهم حتى انقلبوا على الامير عبد الله ، وعاودوا العصيان . فلجأ الأمير عبد الله الى الحيلة ، ونجح فى الايقاع بينهم ، فوثب ابراهيم بن حجاج بكريب بن عثمان بن خلدون وأخيه خالد وقتلهما ، واستقل بملك اشبيلية (٨٥) .

وفى عام ٢٨٢هـ خرج المطرف ولد الامير عبد الله غازيا الى اشبيلية وشذونة ، فتوافد عليه ممثلون من اهل شذونة واشبيلية ولبلة يقدمون اليه فروض الطاعة والولاء . ثم رحل الامير المطرف على رأس جيشه ، واستنزل حصن قرمونة ولبلة . ثم اتجه الى حصن منت فيق فأذعن له طالب بن مودود بالطاعة ، ثم تابع سيرة الى حصن امريقه الذى يقع على وادى لكة من شذونة ، متتبعا الثوار والمنتزين ، ثم دخل قلسانة، فشريش وأقام بها أياما قدمت اليه خلالها وفود من أهل شذونة والجزيرة يعلنون طاعتهم (٨٦) . ثم حط المطرف على مدينة ابن السليم بشذونة، فدخلها ، ثم استولى على جزيرة قادس ورحل من هناك الى حاضرة قلسانة ، ومنها اتجه الى نبريشه حصن سليمان بن محمد بن عبد الملك. وكان الحصن من المناعة والقوة بحيث اضطر القائد احمد بن هاشم الى رميه بالمنجنيق ، واشتبك مع الثوار على ربض الحصن ، فانهزموا وتحصنوا بداخل أسواره ، فهاجم عسكر الأمير الربض ، وأحرقوا ما حوله ، كما أحرقوا المسجد الجامع . واستمر القتال أياما انتسف الجند خلالها زروع أهالى الحصن ، وقطعوا أشجارهم ، فاضطر الأهالى

---

(٨٥) ابن حيان ، نفسه ، ص ٨٢ ـ حمدى عبد المنعم ، المرجع السابق ص ٩٠ .

(٨٦) نفس المصدر ، ص ١١٢ .

فى نهاية الأمر الى تسليم حصنهم ، وتمكنت عساكر قرطبة من دخـوله وأسر من تبقى فيه ([٨٧]) ٠

ويتضح لنا بعد هذا العرض السريع لاهم أحداث كورتى شذونـة ومورور أن جزيرة قادس خرجت بالفعل عن الطاعة ، بدليل أن الأمير أن المطرف والقائد أحمد بن هاشم دخلاها لاقرار أمورها ([٨٨]) ٠ ونستبعد أن يكون ثوار قادس تابعين لطالب بن مودود ، فمورور كانت بعيـدة الى حد ما عن قادس ٠ واغلب الظن أن تكون قادس قد خضعت اما لابن السليم صاحب مدينة شذونة لقربهـا الشديد مـن قادس أو لسليمـان الشذونى الثائر بشريش وأركش ، وكانتا تشكلان مع قادس جزءا مـن كورة شذونة ٠

(٨٧) نفس المصدر ، ص ١١٣
(٨٨) نفسه ، ص ١١٢

(٣)

قادس فى عصر الخلافـة الأمويـة

لما اعتلى الأمير عبد الرحمن بن محمد دست الامارة فى سنة ٣٠٠هـ عزم عزما صادقا على اعادة الأندلس الى سابق وحدتها ، وقاد أول سنى امارته حملة غزا خلالها نحو سبعين حصنا من أمهات الحصون ، ومايقرب من ثلاثمائة من المراقب والحصون والابراج ، وعرفت هذه الغزوة بغزاة المنتلون ، وفيها يقول احمد بن محمد بن عبد ربه :

فى غزوة مائتا حصن ظفرت بها ∴ فى كل حصن غواة للعناجيج

ماكان ملك سليمان ليدركها ∴ والمبتنى سديا جوجوماجوج([89])

ومن أهم الحصون التى افتتحها فى تلك الغزوة حصن المنتلون وحصن شمنتان وحصن شبيلش وحصون البشارات بأسرها . وفى العام التالى (٣٠١هـ) أقدم على فتح اشبيلية ، وفى رواية ابن حيان عن هذا الفتح مايؤكد انضمام أقوام منكورتى لبلة وشذونة ،منهم عبد الوهاب بن عبد الملك الشذونى الذى يبدو أنه كان أحد أفراد أسرة الثائر سليمان بن محمد بن عبد الملك الثائر بشريش واركش من كورة شذونة ، الى قوات الأمير عبد الرحمن بن محمد أثناء حصارها لاشبيلية ([90]) . وعلى الرغم من اذعان عبد الوهاب الشذونى بالطاعة للامير وانضمامه الى قواته ، الا ان قريبه محمد بن سليمان بن عبد الملك الشذونى المعروف بالرهينى

---

(٨٩) ابن حيان ، المقتبس ،تحقيق شالميتا وكورينطى ،ص ٥٨ ومايليها مجهول ، مدونة من عهد عبد الرحمن الناصر لدين الله ، تحقيق ليفى بروفنسال وغرسية غومس ، عنوانها
Una Cronica anonima de Abd al - Rahman III al - Nasir, Madrid, 1920, PP. 38, 39.

(٩٠) ابن حيان ، المصدر السابق ، ص ٧١

استمر مخالفا للامير ، وظل متحصنا بأركش ومعه شهاب بن معاذ ، مما دفع الأمير عبد الرحمن الى ان يركز غزوة فى نفس هذا العام على كورة شذونة ، فأمر باستقدام عدة سفن من مالقة واشبيلية بعد ان تم افتتاحهما ، واقام هذه السفن عند الجزيرة الخضراء بعد ان شحنها بالأسلحة والعتاد ، وأمر قادة هذه السفن بمراقبة السواحل كلها من حد الجزيرة الخضراء الى حد تدمير ، مستهدفا من ذلك قطع سبل الامدادات البحرية التى كان يبعث بها الفاطميون فى المغرب الادنى والاوسط الى الثائر عمر بن حفصون (٩١) . وما ان اطمأن الى ذلك حتى تفرغ لغزو كورة شذونة (٩٢) . ويعبر ابن حيان عن ذلك بقوله : « ثم رحل عنها (اى من الجزيرة الخضراء) بالعسكر فاتى حاضرة قلسانه » (٩٣) . فلما علم زعماء الثورة بشذونة بخبر تحركاته ولوا الأدبار ، « وهرب عند ذلك أيضا محمد بن سليمان بن عبد الملك الشذونى المعروف بالرهينى وشهاب بن معاذ ، ورحل العسكر من قلسانه فاحتل على حصن أركش، وفيه نمارة بن سليمان أخو الرهينى الفار من العسكر ، فنازله الناصر لدين الله وأراد البنيان عليه ، فترددت رسله ورسل أخيه محمد اللاحق به على الناصر لدين الله راغبين فى اعتلاق الطاعة ، باذلين رهنهما للوثيقة منهما على أن يباح لهما حصن الأصنام خاصة ، وأرسلا فى عقد ذلك لهما سهيل بن عبد الله بن اسيد ، فأحسن التوسط لشأنهما حتى اجابهما الناصر لدين الله الى ما التمسا ذلك وسجل لهما على حصن الأصنام ، وقبض ولديهما رهينة » (٩٤) .

ولما تم للأمير عبد الرحمن (الناصر) ذلك واصل غزاته الى باقى انحاء كورة شذونة ، فوصل الى أحد حصونها وهو حصن شلبر ، وبنى

---

(٩١) نفس المصدر ، ص ٨٨

(٩٢) ابن عذارى ، البيان ، ج٢ ص ١٦٥ .

(٩٣) ابن حيان ، المصدر السابق ، ص ٨٨

(٩٤) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ٨٨

حصن اشبره على حصن اقوط [٩٥] . وبدأت محاولات عبد الرحمن (الناصر) الجدية فى اخضاع كورة شذونة منذ عام ٣١٠هـ عندما خرج لغزو حصون كورة البيرة المخالفة ، ثم عرج منها الى كورة موررور ، ثم الى كورة شذونة «فوطىء ديار أهل الخلاف فيها ودوخها ، واستنزل كثيرا ممن كان تأمر هنالك بالباطل وصدع عصا الجماعة » [٩٦] .

وتكررت هذه المحاولات ، من ذلك على سبيل المثال خروجه عام ٣١٦هـ وذلك عندما سير الناصر من ببشتر وزيره القائد عبد الحميد بن بسيل الى كورة شذونة على راس جيش كثيف وأمره «بتبسيط الرعايا فيما هنالك ، وهدم حصون الكورة المتخذة للخلاف على الجماعة ، وجمع أهلها الى مدينة قلسانة قصبة كورة شذونة ، فأحكم عبد الحميد ما حد له من ذلك ... واستنزل أيضا من جبال شذونة رجالا من رؤساء الخلاف

---

(٩٥) ابن حيان ، نفس المصدر ، ص ٨٨ . ويبدو أن حصن اركش قد دان بالطاعة للناصر منذ هذا العام (٣٠١هـ) ، فقد ذكر ابن حيان ما يؤكد ذلك فى سياق حديثه عن عزل الناصر للوزير جهور بن عبد الملك البختى الملقب بقائد شذونة عن الوزارة فى ربيع الاول من نفس هذا العام . وظل هذا الوزير جهور معزولا الى أن توفى بحصن أركش من كورة شذونة صدر المحرم سنة ٣١٢هـ ، ودفن بحاضرة قلسانه الى جانب والده ، مما يؤكد استمرار تبعية أركش وقلسانة وما حولهما لعبد الرحمن الناصر (ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ٩٧ — ابن عذارى ، البيان ، ج٢ ص ١٨٥) أما حصن أقوط فكان أحد الحصون المخالفة للطاعة ، وكان ابن حميد هو الثائر بهذا الحصن . (ابن حيان ، المصدر السابق ، ص ١١٤) . وقد وجه الناصر جيوشه الى هذا الحصن عام ٣٠٩هـ وفى ذلك يقول ابن حيان : «ونظر الناصر لدين الله أيام مقامه على محاصرة حصن طرش فى توجيه القواد فى عدد كثيف من الاجناد الى حصن ببشتر قاعدة الضلالة وحصن اقوط وجبل الحجارة وما بينهما من اعمال الناكث سليمان بن عمر بن حفصون الناصب للتضييق عليهم والانتقاص من أعدادهم » (ابن حيان ، المصدر السابق ، ص ١٧٢) .

(٩٦) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ١٨٠

انفذهم الى قرطبة والزموا سكناها » ([٩٧]) . فانتظم أمر هذه الكورة شأن غيرها من الكور التى دخلت فى طاعته . وفى نفس عام ٣١٦هـ أرسل الناصر جيوشه الى حصون مغيلة من كورة شذونة لاتمام اخضاعها ([٩٨]). ويبدو أن هذه الكورة خضعت له تماما فى عام ٣١٦هـ ، فقد أورد ابن حيان أسماء العمال الذين استخدمهم فى الكور التى خضعت له ومن بينها كورة شذونة التى تولاها عبيد الله بن فهر فى عام ٣١٧هـ ([٩٩]) .

ومن المرجح أن تكون قادس قد دانت بالطاعة والولاء للناصر فى جملة الحصون والمدن التابعة لكورة شذونة . وتتوالى بعد ذلك أسماء عمال هذه الكورة : ففى أخبار عام ٣١٩هـ تولى عيسى بن عبد الملك على كورة شذونة ([١٠٠]) . وفى عام ٣٢١هـ تولى جهور بن عبيد الله الكورة بعد أن عزل عنها امية بن اسحاق القرشى ([١٠١]) الذى كان يتولاها فيما يبدو فى عام ٣٢٠هـ . ثم عزل جهور بن عبيد الله فى سنة ٣٢٢هـ ووليها مكانه احمد بن ابى العاص ([١٠٢]) . وفى سنة ٣٢٣هـ تولاها بكر بن عبيد الله ([١٠٣]) ، ثم اسماعيل بن بدر بعده سنة ٣٢٤هـ (١٠٤) ، ثم خلفه عليها فى العام التالى (٣٢٥هـ) ([١٠٥]) الأخوان عبد الوارث وعثمان

---

(٩٧) ابن حيان ، المصدر السابق ، ص ٢١٨ ، ٢١٩

(٩٨) ابن حيان ، نفس المصدر ، ص ٢٣٦

(٩٩) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ٢٥٣ . ويذكر ابن عذارى أن عامل كورة شذونة فى سنة ٣١٦هـ قد توفى بها واسمه محمد بن هشام القرشى المعروف بابن الشبانسيه الذى كان مقيما بشذونة (ابن عذارى ، البيان ، ج٢ ، ص ١٩٩) ولعله كان قريبا وربما أخا للمؤرخ الأندلسى معاوية بن هشام الشبنيسى .

(١٠٠) ابن حيان ، المصدر السابق ، ص ٣١٥ .

(١٠١) ابن حيان ، نفس المصدر ، ص ٣٣١

(١٠٢) نفسه ، ص ٣٥٥ .

(١٠٣) نفسه ، ص ٣٧٧

(١٠٤) نفسه ، ص ٣٩١

(١٠٥) نفسه ص ٤١٦ .

ولدى سعيد ، وانفرد بولايتها عبد الوارث فى العام الذى يليه (٣٢٦هـ) [١٠٦] .

ويلاحظ فى قائمة ولاة كورة شذونة أن مدة ولاية كل منهم لم تكن تتجاوز العام الواحد مما يدل على حرص الخليفة الناصر على ألا يتاح لاحد من هؤلاء الولاة خلال مدد ولايتهم القصيرة تمكين نفوذهم فى الكورة أو التمهيد للانتزاء بها .

وتتوقف المصادر بعد ذلك عن ذكر كورة شذونة بما فى ذلك قادس التى كانت تتبعها اداريا حتى سنة ٣٥٥هـ عندما ورد على الحكم المستنصر بالله كتاب من عامله على قصر ابى دانس يبلغه فيه بظهور اسطول النورمنديين ببحر الغرب على مقربة من تلك المدينة (قصر ابى

---

(١٠٦) نفسه ص ٤٢٩

وانظر الجدول التالى الذى ينتظم فيه اسماء ولاة الكورة ومدد ولايتهم :

اسم الوالى	فترة ولايته
١ - محمد بن هشام القرشى	؟٠٠ - ٣١٦
٢ - عبيد الله بن فهر	٣١٧ - ٣١٩
٣ - عيسى بن عبد الملك	٣١٩ - ٣٢٠
٤ - امية بن اسحاق القرشى	٣٢٠ - ٣٢١
٥ - جهور بن عبيد الله	٣٢١ - ٣٢٢
٦ - احمد بن ابى العاص	٣٢٢ - ٣٢٣
٧ - بكر بن عبيد الله	٣٢٣ - ٣٢٤
٨ - اسماعيل بن بدر	٣٢٤ - ٣٢٥
٩ - عبد الوارث بن سعيد عثمان بن سعيد	٣٢٥ - ٣٢٦
١٠ - عبد الوارث بن سعيد	٣٢٦ - ؟

دانس) (١٠٧) مما تسبب فى اضطراب أهل الساحل الأندلسى الغربى كله (١٠٨) . فقد قدم النورمنديون هذه المرة فى ثمانية وعشرين مركبا ، وتوالت الكتب بأخبار هؤلاء النورمان وبوصولهم الى بسيط أشبونة ، حيث دارت معركة عنيفة بينهم وبين المسلمين انتهت باستشهاد عدد من المسلمين ، كما لقى عدد كبير من النورمنديين مصرعهم فى تلك المعركة، ثم أمر الحكم المستنصر باخراج أسطول اشبيلية ، فاقتحمت سفن المسلمين عليهم بوادى شلب ، وتمكنت من تدمير عدد من سفنهم (١٠٩) .

وفى رمضان من سنة ٣٦٠هـ عاد الخطر النورمندى يتهدد سواحل الأندلس الغربية (١١٠) ، ومن بينها بطبيعة الحال ساحل جزيرة قادس التى طالما تعرضت فى عصر الامارة لغزوات النورمان ، فأمر الحكم المستنصر « قائد البحر بالخروج الى المرية والتأهب لركوب الأسطول منها الى اشبيلية ، وجمع الأساطيل كلها للركوب الى ناحية الغرب (١١١)

---

(١٠٧) قصر أبى دانس أو قصر بنى وردانس أو بنى ادانس أو مدينة القصر Alcacer do sal مدينة بحرية على مصب نهر شطوبر فى غرب الأندلس تنسب الى بنى ادانس البربر الذين اصطنعهم الخليفة عبد الرحمن الناصر (لمزيد من المعلومات انظر : سحر السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ بطليوس الاسلامية ، الاسكندرية ج١ ، ١٩٨٩ ص ١٩٦ وما يليها) .

(١٠٨) ابن عذارى ، البيان ، ج٢ ص ٣٣٩

(١٠٩) ابن عذارى ، نفس المصدر ، ص ٣٣٩ ، وانظر السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادى ، تاريخ البحرية الاسلامية فى المغرب والأندلس ، ص ١٨٢ .

(١١٠) ابن عذارى ، المصدر السابق ، ص ٣٤١

(١١١) نفس المصدر ، ص ٣٤١

الفصـل الثالث

قادس مابين قيام دويلات الطوائف وسقوطها في أيدى القشتاليين سنة ٦٦٢هـ

(١) الوضع السياسى لجزيرة قادس فى عصر دويلات الطوائف

(٢) جزيرة قادس فى عصر دولتى المرابطين والموحدين

الفصل الثالث

قادس ما بين قيام دويلات الطوائف وسقوطها فى أيدى القشتاليين سنة ٦٦٢هـ

(١)

الوضع السياسى لجزيرة قادس فى عصر دويلات الطوائف

ليس فى امكاننا معرفة الدويلة التى كانت تخضع لها قادس فى عصر التمزق السياسى الذى اعقب سقوط الخلافة الأموية ، وعرف بعصر دويلات الطوائف . ولكن اذا القينا نظرة فاحصة فى خريطة الأندلس فى هذا العصر فاننا نشهد عددا من الامارات الصغيرة تناثرت فى المناطق المجاورة او القريبة من قادس ، ومن بين هذه الامارات نلاحظ وجود بضع امارات بربرية قامت فى جنوب غربى الأندلس وعلى الأخص شرقى نهر الوادى الكبير ، اقربها الى قادس امارة بنى دمر فى مورور ،وامارة بنى خزرون فى اركش وشذونة ، وامارة عربية للبكريين فى ولبة وجزيرة شلطيش . وعلى هذا الاساس نجد انفسنا أمام احد احتمالين : اما ان تكون قادس قد خضعت لواحدة من الامارتين البربريتين سالفتى الذكر ، او انها كانت تابعة لامارة البكريين العربية فى ولبة Huelva وشلطيش Saltés . واغلب الظن انها كانت تابعة فى النصف الاول من عصر دويلات الطوائف لامارة بنى خزرون ، وذلك لقرب قادس من مركز هذه الامارة (١) . ولقد ظلت هذه الامارة محتفظة باستقلالها الى ان سقطت فى يد المعتضد بالله بن عباد ملك اشبيلية ، شأنها فى ذلك شأن بقية الامارات البربرية الصغيرة التى سيطر عليها ، ومنها امارة بنى افرن فى

---

(١) وحتى فى حالة اذا اعتبرنا قادس من بين المدن التابعة لامارة البكريين ،فان هذه الامارة آلت بدورها الى مملكة بنى عباد أصحاب اشبيلية .

رنده Ronda ، وبنى بـرزال فى قرمونـة Carmona ، وبنى دمر فى موررور Moron . وكان من الطبيعى أن تؤول المناطق التى كانت تابعة لامارة بنى خزرون بعد سقوطها فى يد بنى عباد الى مملكة اشبيلية ، ونعتقد ، تأييدا لترجيحنا تبعية قادس لبنى خزرون ثم لبنى عباد ، أن بعض المؤرخين والجغرافيين العرب يعتبرون قادس من بين مدن كورة اشبيلية التابعة لها . ومن الأدلة التى نستند عليها فى ترجيحنا لتبعية قادس زمن دويلات الطوائف لامارة بنى خزرون أصحاب اركش وشذونة بوجه خاص ، نص انفرد به ابن الخطيب فى سياق حديثه عـن أصول بنى خزرون البربرية ، فقد ذكر أن من بين أمرائهم « عبدون بن خزرون الرنداجى أمير بنى أرنيان ، أو يرنيان ، وبطونهم من القبائل الزناتية المتغلبين على كورة شذونة لاول الفتنة ، النازلين بقصبة قلشانه ، قام بسلطانه وراثة من والده أحد أكابر البرابرة المتأمرين لما خرجوا عن الجماعة ، وهو فتى دمث أنيث ماكر عطل من الفضائل ، لاتضاف اليـه منها خلة صالحة ، الا أنه رفق بقومه ، وأخذ عفوهـم ، فاستقامـوا له » (٢) . وانتساب بنى خزرون الى «الرنداجى» بدعونا الى الربط بينهم وبين شخصية أحد قادة الموحدين بقادس ممن ظهروا فى أواخـر عهد الموحدين ، ذكره ابن أبى زرع فى «الذخيرة السنية فى تاريخ الدولة المرينية » يقال له القائد أبو عبد الله الرنداجى الذى تصدى للهجـوم المسيحى على قادس فى سنة ٦٤٢هـ وأعاد بناءها من جديد (٣) ، كمـا أسر ثمانين من زعماء الروم بقادس وقتلهم بها (٤) ، ولعله نفس القائد الذى ذكره نفس المؤرخ (ابن أبى زرع) وأسماه محمد الرنداجى وأشار الى أنه قتل بوادى اشبيلية (٥) . واشتراك بنى خزرون مع ذلك القائد

---

(٢) ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص ٢٣٨ ، ٢٣٩
(٣) ابن أبى زرع ، الذخيرة السنية فى تاريخ الدولـة المرينية ، نشر دار المنصور للطباعة ، الرباط ، ١٩٧٢ ص ، ٦٦ .
(٤) ابن أبى زرع ، المصدر السابق ، ص ٧٦ .
(٥) نفس المصدر ، ص ٨١ .

الموحدى فى الانتساب الى «الرنداجى» يدعونا الى الافتراض بأن قادس كانت من بين المدن التى كان يسيطر عليها بنو خزرون الرنداجى فى عصر دويلات الطوائف داخل نطاق كورة شذونة ، وأن افرادا من هذه الأسرة ظلوا يقيمون فى هذه الكورة ، وفى قادس على وجه الخصوص حتى بعد انضواء امارة بنى خزرون فى فلك مملكة بنى عباد باشبيلية ، حتى ظهروا كقادة للموحدين وحكام لقادس قرب نهاية عصر السيطرة الموحدية على الأندلس .

واول امراء بنى خزرون اصحاب شذونة زمن دويلات الطوائف هو عماد الدولة ابو عبد الله محمد بن خزرون بن عبدون الخزرى(٦) امير بنى يرنيان (٧) ، وكان من زعماء البربر الوافدين على الأندلس زمن الدولة العامرية ، وتهيأت له الظروف للانتزاء بقلسانة أو قلشانة (٨) Calsena سنة ٤٠٢هـ عند استحكام الفتنة فى الأندلس ، وتمكن بعد ذلك من الاستيلاء على أركش (٩) Arcos de la Frontera وعرف عماد الدولة بعنفه وقسوته ، وتوفى فى عام ٤٢٠هـ (١٠) ، وخلفه ابنه عبدون بن خزرون الذى بايعته المدن المجاورة لأركش وشريش والجزيرة وقلسانه . وكان جائرا فى حكمه ، حكم زهاء ربع قرن ، الى ان استقدمه المعتضد بالله بن عباد صاحب اشبيلية مع رفيقين من اصحابه هما محمد بن نوح الدمرى صاحب مورور ، و ابو نور بن ابى قرة صاحب رنده ، ثم قتلهم ، وضم اماراتهم الى مملكته باشبيلية (١١) فى سنة ٤٤٥هـ (١٠٥٣م)

---

(٦) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج٣ ص ٢٩٤

(٧) نفسه ص ٢٩٤ وابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ص ٢٣٨

(٨) قلشانة مدينة سهلية من كورة شذونة تبعد عنها بنحو ٢٥ ميلا وتقع شمالى وادى لكة ، ويصب فيه على مقربة منها نهر بوطه ، وكانت مقر العمال والقواد (الحميرى ، الروض المعطار ، ص ٤٦٦) .

(٩) مدينة حصينة على وادى لكة ، تقع على بعد خمسين كيلو مترا شمال شرقى قادس .

(١٠) ابن عذارى ، المصدر السابق ، ص ٢٩٤ .

(١١) ابن عذارى ، نفس المصدر ، ص ٢٧١

وتفصيل ذلك ان المعتضد دعا امراء البربر الثلاثة : ابن خزرون صاحب شذونة ، وابا نور بن ابى قرة صاحب رنده ، وصديقه محمد بن نوح الدمرى صاحب مورور ، بعد ان استمالهم بالصلات ، الى اشبيلية مقر دولته فى تلك السنة ليتجمل بهم فى اعذار أولاده فى الظاهر بينما كان يفكر فى قتلهم فى الباطن ، وضم اماراتهم الى مملكته ، فأقبلوا الى حاضرته بعد ان استعدوا لذلك فى أحسن زى وأفخم عدة ، فى مائتى فارس من رؤساء قبائلهم ، فأكرمهم ، وانزل أمراءهم فى قصر من قصوره ثم اذن لهم فى اليوم الثالث من وصولهم فى الدخول عليه ، وحدث ان اعترض ابن نوح المعتضد فى حديث له ، فوكزه المعتضد ، وامر على الفور بتقييدهم وسجنهم ، وامر بأخذ كل خيلهم وسلاحهم وأخبيتهم ، واقاموا أسرى فى يده مده طويلة ، ثم «امر بهم فأخرجوا من محابسهم ، وصرف عليهم جميع ما أخذه لهم ، ثم صنع لأمرائهم طعاما ، وادخلوا عليه ، فاكرمهم ، وامر بتطييب الحمام لهم ، وسار عبيده اليه معهم ... فلما دخلوا الحمام وجلسوا بازاء الحوض ، خرج العبيد عنهم وقد اعدوا الجيار والآجر ، فبنى عليهم على دفة بيت الحمام ، وامر السخان ان يكثر الوقد ، فالتهف الحمام ، فقاموا من موضعهم يرومون الخروج ، فلم يجدوا مخرجا ، فكان آخر العهد بهم ، واقام ذلك الحمام عاطلا الى آخر أيام العباديين ودخول المرابطين (١٢) .

وخلف عبدون فى حكم شذونة واركش وذواتها اخوه محمد بن خزرون الذى تلقب بالقائم ، واهتم منذ توليه الامارة بتحصين بلاده بعد أن أحس بنوايا المعتضد العدوانية فى الاستيلاء على بلاده ، واذ رأى المعتضد بن عباد يغير على امارته مخربا أرضها ، ومنتسفا زروعها ،

---

(١٢) ابن عذارى ، البيان ، ج٣ ص ٢٧١ — ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ص ٢٣٩ .

ومدمرا عمرانها ، بادر ابن خزرون بالاتصال بباديس بن حبوس (١٣) أمير غرناطة ومالقة بعد أن تأكد من عجزه عن مواجهته ومقاومة ابن عباد ، واتفق الاميران على أن يقوم القائم باعطائه قلعة أركش وسائر البلاد التى تدخل فى نطاق سلطانه ، على أن يعطيه ابن حبوس أرضا من غرناطة ينزل بها بنو يرنيان ليساعدوا قومه على الرحيل من اركش الى غرناطة . وعند فحص شلب (١٤) اعترض المعتضد طريق هؤلاء الراحلين ودارت بين الجانبين معركة عنيفة فى آخر يوم من سنة ٤٥٨هـ انتهت بهزيمة بنى يرنيان وقتل الأمير محمد بن خزرون ، وكان قد أمر بقتل زوجته وأخته قبل وفاته عندما علم بهزيمته حتى لاتقعا فى أيدى عسكر ابن عباد (١٥) ، « وملك ابن عباد قلعة اركش وسائر بلاد شذونة ،

---

(١٣) ابن عذارى ، المصدر السابق ، ص ٢٧٢
ينتسب باديس بن حبوس الى زيرى بن مناد الصنهاجى ، وكان زاوى بن زيرى قد قدم الى الاندلس هو وأخوته ومعه ابنا أخيه ماكسن وهما : حباسه وحبوس ، فى عهد المظفر عبد الملك بن المنصور محمد بن أبى عامر ، فاستقبلهم عبد الملك أعظم استقبال، وبالغ فى اكرامهم والاحتفاء بقدومهم ، ووصلهم بصلاته الجليلة ، فاستقلوا ماوصلهم به عبد الملك على كثرته ورفض زاوى الوزارة عندما عرضها عليه عبد الملك المظفر محتجا بأن خطته لاتعدو الحرب ، وأن أقلامه الرماح وصحائفه الاجساد وشارك وهو وقومه فى وقائع الفتنة ، وتولى غرناطة ، ثم رحل عن الاندلس الى افريقية فى سنة ٤١٦هـ وقيل فى سنة ٤٢٠ (وفقا لابن الخطيب ، ص ٢٢٩) ونزل عند بنى عمه وأميرهم المعز بن باديس صاحب افريقية . (ابن عذارى ، ج٣ ص ١٢٩) . ثم استوطن حبوس بن ماكسن ابن أخيه غرناطة بعد رحيله وأورثها عقبه . ودامت رئاسة حبوس حتى وفاته سنة ٤٢٨هـ فولى بعده ابنه باديس بن حبوس الملقب بالمظفر بالله الناصر لدين الله ، وكان ملكا مرهوب الجانب عظيم السطوة والسلطان ، ولما توفى باديس خلفه حفيده عبد الله بن بلقين بن باديس آخر ملوك غرناطة من بنى زيرى الصنهاجيين .

(١٤) ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ص ٢٣٩ .

(١٥) ابن عذارى ، البيان ، ج٣ ص ٢٧٣ ـ ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ص ٢٣٩ .

وخطب له فيها ، واتصل نظره الى أول بلاد شرق الاندلس ([١٦]) » ، وقيل ان ذلك تم فى سنة ٤٦١هـ ([١٧]) . ولو صح ما رجحناه تكون قادس قد آلت الى مملكة بنى عباد باشبيلية شأنها فى ذلك شأن كل المدن والحصون التابعة لشذونة .

ويبدو ان قادس تعرضت هى والمناطق المجاورة لها لغارة قام بها الملك القشتالى الفونسو السادس فى أواخر عصر دويلات الطوائف ، فقد أورد ابن أبى زرع فى أخبار سنة ٤٧٥هـ ما يشير الى أن المعتمد بن عباد ارسل الى امير المرابطين يوسف بن تاشفين يعلمه بسوء أحوال الأندلس، وما آل اليه أمرها من تغلب العدو على اكثر ثغورها وبلادها ، ويسأله نصرها ويلتمس منه العون ، فتحرك الفونسو السادس « فى جيوش لاتحصى من الروم من الافرنج والبشكنس والجلالقة وغيرهم ، فشق بلاد الاندلس شقا ، يقف على كل مدينة منها فيفسد ويخرب ويقتل ويسبى ويرتحل الى غيرها ، ونزل على اشبيلية ، فقام عليها ثلاثة ايام ، فأفسد أحوازها ، وهتكها ، وخرب بالشرف ([١٨]) Aljarafe قرى كثيرة وكذلك فعل فى شذونة واحوازها ، ثم سار حتى وصل الى جزيرة طريف فأدخل قوائم فرسه فى البحر وقال : هذا آخر بلاد الأندلس قد وطأته ، ثم رجع الى مدينة سرقسطة » ([١٩]) . ولعل الكتاب

---

(١٦) ابن عذارى ، المصدر السابق ، ج٣ ص ٢٧٣ .

(١٧) نفسه ، ص ٢٩٤ .

(١٨) الشرف على حد قول الحميرى (جبل شريف البقعة كريم التربة دائم الخضرة ، فراسخ فى فراسخ طولا وعرضا ، لا تكاد تشمس منه بقعة لالتفاف زيتونه واشتباك غصونه ، وزيته من اطيب الزيوت كثير الريع عند العصر لايتغير على طول الدهر ... ويقال ان فى الشرف ثمانية آلاف قرية عامرة وديارها حسنة ... وسمى بذلك لانه مشرف من ناحية اشبيلية ممتد من الجنوب الى الشمال ، وهو كله تراب أحمر » (الحميرى ، ص ٣٤٠) .

(١٩) ابن أبى زرع ، روض القرطاس ، نشريوحن تورنبرغ ، أبساله ١٨٤٣ ص ٩٢

الذى ارسله المعتمد بن عباد الى ابن تاشفين الى جانب كتب اخرى كان لها اكبر الاثر فى دفع يوسف بن تاشفين الى الجواز الى الاندلس للجهاد ضد قوى النصرانية ، وأدى ذلك الى الانتصار الذى احرزه المسلمون فى موقعة الزلاقة ([٣٠]) المشهورة (٤٧٩هـ / ١٠٨٦م) .

(٢٠) عن موقعة الزلاقة ارجع الى ابن ابى زرع ، روض القرطاس ، ص ٩٤ ــ الحلل الموشية ، تحقيق عبد القادر زمامه ، وسهيل زكار ، ص ٥١ وما يليها ــ مذكرات الامير عبد الله ، نشر وتحقيق ليفى بروفنسال ، ص ١٠٢ ومايليها ــ الحميرى ، الروض المعطار ، ص ٢٨٧ ــ ٢٩٢ وأنظر :

Primera Cronica General de España, ed. Menendez Pidal, t. II. P. 558 - Menendez - Pidal, La España del cid, t. I, p. 333, Madrid, 1947 - Manuel Torron Albarran, El Solar de los Aftasies, pp. 210-237.

وراجع ايضا سحر السيد عبد العزيز سالم ، التاريخ السياسى لبطليوس الاسلامية ، رسالة ماجستير ، ص ٤٢٣ ــ ٤٩٩

(٢)

جزيرة قادس فى عصر دولتى المرابطين والموحدين

ذكر ابن القطان ان السليطين صاحب قشتالة (هو الفونسو السابع ريمندس المعروف أيضا فى المصادر العربية باسم الفنش بن رمند) غزا فى سنة ٥٢٧هـ وبصحبته ابن هود (٢١) ، وكان قد استقر بعد ان سقطت سرقسطة دار ملك بنى هود فى ايدى النصارى فى ثغر روطة Rueda de Jalon ، اقام بها متعلقا بأذيال ابن ردمير (٢٢) ، الى ان عاوضه من روطة بخطة من مدينة تطيله Tudela ، فانتقل اليها باهله . وذكر ابن الاثير فى حوادث عام ٥٢٩ أن المستنصر بالله ابن هود صالح السليطين الفرنجى صاحب طليطلة على أن يسلم له حصن روطة الحصين (٢٣) . وذكر ابن الكردبوس انه لما تولى ابو جعفر احمد بن عبد الملك سيف الدولة المستنصر بالله بن هود «راسله طاغية الانبوطر الملقب بالسليطين وقال له : ارحل عن روطه واعوضك عنها بقشتالة ماهو احسن وافيد ، وتقرب من غرب بلاد الأندلس ، واخرج معك بنفسى واجنادى وابطالى ، واطوف معك على تلك البلاد ، وتدعوهم الى طاعتك ، فمن اجابك ودخل فى جماعتك تركت عنده ثقاتك ، واستعملت عليه ولاتك ، وأمنته انا من غارات الروم ، وكنت لهم كالأب المشفق الرحيم . فرسخ هذا الكلام فى راسه ، وتمكن من نفسه ، وتخلى له عن

---

(٢١) هو ابو جعفر أحمد بن عبد الملك بن أحمد بن يوسف بن هود المعروف بسيف الدولة المستنصر آخر من تبقى من بنى هود أصحاب سرقسطة

(٢٢) الاسم لالفونسو الاول المحارب ملك ارغون ، ولكن يبدو ان المقصود هنا الفونسو السابع ملك قشتالة .

(٢٣) ابن الاثير ، الكامل فى التاريخ ، ج١١ طبعة بيروت المصورة من طبعة تورنبرج – ليدن ١٨٦٥ ص٣٣ . وحصن روطة الوارد فىالنص هى بلدة Rueda de Jalon وهى غير روطة الواقعة فى جنوب الاندلس على مقربة من قادس ، والتى اشتهرت برابطتها المقصودة بالزيارة .

معقل ما ابصر مثله من يعقل ، وأمر له بقشتالة من قرى ومزارع وارضين ذات مراجع . ثم خرج معه الى غرب بلاد الاسلام فى جيوش لاترام ، فما قصد موضعا الا ألفاه متقلعا ممتنعا ، ولا أطاعه بشر ولا انبسط له من قرية من القرى احد ولا انتشر ... فرجع اخسر من صفقة ابى غبشان » ([٣٤]) . وفى رواية ابن الأبار فى الحلة السيراء أن المستنصر بالله اقام بروطة الى ان تخلى عنها لأذفونش بن رمند المعروف بالسليطين ، وعوضه منها بنصف مدينة طليطلة وذلك فى شهر ذى القعدة سنة ٥٣٤هـ ([٣٥]) .

ويتبين لنا من النصوص السابقة أن المستنصر بن هود كان صنيعة للملك قشتالة (الفونسو ريمندس) وأنه شارك فى غزوة قام بها هذا الملك القشتالى مخترقا الأندلس حتى سواحل البحر المحيط (البحيرة وطريف) متمثلا فى ذلك معاصره الفونسو الأول المحارب ([٣٦]) ، وهبطت قوات الفونسو السابع الى اشبيلية ، «وانبسطت خيلهم ، واقتحمت ما وجدت، ثم هبطوا الى شريش ، فدخلوها ، وقتلوا من وجدوا فيها ، واستباحوا

---

(٢٤) ابن الكروبوس ، تاريخ الأندلس أو الاكتفاء فى أخبار الخلفاء ، تحقيق د. احمد مختار العبادى ، مدريد ، ١٩٧١ ، ص ١٢٠ ، ١٢١ . وابو غبشان المذكور هو المحترش بن خليل بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو الخزاعى ، ويضرب به المثل فى الحمق والندامة بحيث خسر الصفقة . (انظر الميدانى ، مجمع الامثال ، ج١ ، القاهرة ١٣٥٢هـ ، ص ٢١٦ ، ابن الكردبوس ، المصدر السابق ، ص ١٢١ هامش ٥) .

(٢٥) واضح أن هذا التاريخ غير صحيح ، وربما حدث ذلك على حد قول د. حسين مؤنس فى سنة ٥٢٤هـ (انظر ابن الابار ، الحلة السيراء ، ص ٢٥٠) .

(٢٦) عن حملة الفونسو المحارب التى قام بها فى سنة ٥١٩ بايعاز من المعاهدين بغرناطة والتى اخترق فيها بلاد المسلمين مخربا ومدمرا ارجع الى الحلل الموشية ، ص ٦٦ ـ وانظر ابن الاثير ، الكامل فى التاريخ ، ج٨ ص ٣١٩ ، ابن عذارى ، البيان ، ج٤ (عصر المرابطين) ص ٧٠ ومايليها .

وبالغوا فى نكاية المسلمين ثم رجعوا الى بلادهم » (٣٧) . وذكر ابن عذارى المراكشى نقلا عن ابن حمادة أنه فى سنة ٥٢٧هـ «وصل العدو دمره الله الى حومة مدينة شريش والبحيرة ولم يلقه أحد من المسلمين ، وصدر الى بلاده » (٣٨) .

وتشير الرواية المسيحية الى أن القشتاليين غزوا أراضى المسلمين فى سنة ١١٣٣م (٥٢٧هـ) بقيادة الفونسو السابع ريمندس ، وانضم اليهم فى هذه الغزاة سيف الدولة المستنصر بن هود . ووفقا لهذه الرواية قسم الفونسو السابع جيشه قسمين قاد أحدهما بينما قاد القسم الآخر صنيعته المستنصر بن هود وردريجو جنثالث دى لارا ، أحد رؤساء ليون . وعبر الجيشان جبل الشارات (سيرامورينا) والتقيا فى نواحى قرطبة . وعندئذ قام العسكر بانتساف الزروع وأرغموا الأهالى على الاحتماء بالحصون والمغارات ، وواصل النصارى تقدمهم الى أحواز اشبيلية وهم يحرقون ويدمرون ويعيثون فى أراضى المسلمين ، ووصلوا الى شريش ، فخرجوا عمرانها ، ودمروا مبانيها ، ومن هناك ساروا الى **قادس** » (٢٩) .

ويفهم من سياق هذه الرواية ان القشتاليين وصلوا فى غارتهم الى قادس التى ربما تعرضت لعدوانهم شأن غيرها من المدن . ولكن هذه الغارة لم تتكرر بعد ذلك فى عصر المرابطين . ومما لاشك فيه أن قادس فى هذا العصر أدت دورا حربيا هاما ، اذ كانت قاعدة بحرية من الطراز الأول ، يؤكد ذلك أن ولاتها من «بنى ميمون» اشتهروا بقدراتهم الحربية العالية وقياداتهم للاساطيل المرابطية ، وفاقوا قادة البحر من بنى

---

(٢٧) ابن القطان ، قطعة من نظم الجمان ، ص ٢٠٠

(٢٨) ابن عذارى ، البيان ، ج ٤ (عصر المرابطين) ص ٨٨

(٢٩) **M. Lafuente, Historia general de España, (Cronica Alfonso VII) vol. III P. 249.**

عن محمد عبد الله عنان ، دولة الاسلام فى الاندلس ، عصر المرابطين ، ص ١٤١ .

مردنيش فى شرق الأندلس شهرة وحظا ، وبفضلهم ورث الموحدون هذا التفوق البحرى ، واصبحوا أمراء البحر بلا منازع .

ولا نعرف عن بنى ميمون سوى انهم اسرة بحرية ظهرت ظهـورا مشرفا فى عصر المرابطين ، ولعب عميدهم ابو عبد الله محمد بن ميمـون دورا هاما فى سيطرة المرابطين على النصف الغربى من حوض البحـر المتوسط ، ومن المرجح انهم ينتسبون الى اصول عربية ، وربما كـان منهم من ساعد الأمير عبد الرحمن الداخل فى المرحلة الاولى من تثبيت سلطانه فى الأندلس فى التغلب على الثائر حيوة بن ملامس ومن سانده من البربر ، فقد ذكر صاحب « اخبار مجموعة فى فتـح الأندلس» ان الأمير عبد الرحمن حارب هذا الثائر ومن ناصره من بربر الغرب ، وانه أمر بنى ميمون بمكاتبتهم ، واتفق معهم بنو ميمون على أن يخذلوا حيوة اثناء القتال ، ونجح بنو ميمون فى خطتهم ، ودارت الدائرة على حيوة ورفاقه ، وسقط حيوة نفسه قتيلا ، فى حين افلت صاحبه عبد الغافـر الى المشرق (٣٠) .

وربما ينتسب بنو ميمون الى بنى عبد الدار الذين كانوا ينزلون بقرطبة واشبيلية ، ومنهم على سبيل المثال ابو بكر محمد بن عبد الله بن ميمون بن ادريس بن محمد بن عبد الله العبدرى (ت ٥٦٧هـ) (٣١) ، ولكننا نستبعد هذا الاحتمال استنادا الى ان اسم ميمون يتوسط الاسم ولا يدل على اسم الأسرة . ويبدو أن جماعة من بنى ميمون نزلوا بثغر دانية فى شرق الأندلس ، وانتقل افراد منهم الى المرية (٣٢) .

---

(٣٠) اخبار مجموعة ، ص ١٠٨
(٣١) ابن الابار ، التكملة لكتاب الصلة ، تحقيق كوديرة ، ص ٧٥١ — ابن صاحب الصلاة ، تاريخ المن بالامامة عـلى المستضعفين بـأن جعلهم الله ائمة وجعلهم الوارثين ، تحقيق د. عبد الهادى التازى بيروت ، ١٩٦٤ ص ٢٢٦ .
(٣٢) عبد الواحد المراكشى ، المعجب فى تلخيص اخبار المغرب ، ص ٢١٠ .

وأياما كان أصل بنى ميمون ومنازلهم فى الأندلس ، فالذى لاشك فيه انهم كانوا أسرة من البحريين ، تمرسوا فى ركوب السفن وتدربوا على القتال البحرى ، وينقل المقرى نصا هاما للشقندى فى سياق حديثه عن فضائل الأندلس ، ذكر فيه أن بنى ميمون كانوا قادة البحر زمن الموحدين ، ومنهم من قهر النصارى فى البحر ، واغار على السواحل المسيحية المطلة على السيف الشمالى لحوض البحر المتوسط الغربى ، واشاعوا الذعر فى نفوس اهلها ، ويعبر عن ذلك بقوله : « وفيها (أى المرية) كان ابن ميمون القائد الذى قهر النصارى فى البحر ، وقطع سفرهم فيه ، وضرب على بلاد الرمانية ، فقتل وسبى ، وملأ صدور اهلها رعبا حتى كان منه كما قال اشجع :

فاذا تنبه رعته واذا غفا ⁂ سلت عليه سيوفك الأحلام» (٣٣)

ويجعل ابن خلدون مجال نشاطهم البحرى والادارى فى جزيرة قادس ، وفى ذلك يقول : «وكان الجانب الغربى من هذا البحر موفور الأساطيل ،ثابت القوة ، لم يتحيفه عدو ، ولا كانت لهم به كرة ، فكان قواد الأسطول به لعهد لمتونة (المرابطين) بنى ميمون رؤساء جزيرة قادس » (٣٤) .

---

(٣٣) المقرى ، نفح الطيب ، ج٤ ، ص ٢٠٦ ـ أحمد مختار العبادى، تاريخ البحرية الاسلامية فى المغرب والاندلس ، بيروت ١٩٦٩ ، ص ٢٤١ .

(٣٤) ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، طبعة بيروت ١٩٦١ ، ص٢٥٥ وربما استقر فرع من هذه الاسرة فى جزيرة شقر القريبة من دانية، فقد أورد ابن الأبار فى التكملة ترجمة لاثنين من قضاة جزيرة شقر ينتسبان الى بنى ميمون ، هما عبيد الله بن أحمد بن ميمون المخزومى ، وعبيد الله بن ميمون الانصارى الذى عرف بابن الأديب (ت ٥٥٦هـ) (انظر ابن الابار ، التكملة لكتاب الصلة ، ج٢ ، ص ٥٣٤) . وواضح من الاسمين انهما لفقيهين أو لعالمين من علماء جزيرة شقر ، ولو كان افتراضنا صحيحا وصحت نسبتهما الى بنى ميمون فان ذلك ينهض فى هذه الحالة دليلا على ان بعض أفراد هذه الأسرة اشتغلوا بالأدب والفقه .

واول من برز من بنى ميمون البحريين ، وذاعت شهرته فى الآفاق ابو عبد الله محمد بن ميمون (٣٥) الذى تولى قيادة اسطول المرابطين فى عهد على بن يوسف ، وكان يتخذ من المرية فيما يبدو قاعدة لسفنه (٣٦) .

ويرجع السبب فى ظهوره واستخدامه قائدا لاسطول المرابطين الى دوره البطولى الذى قام به عندما هاجم اسطول جنوة وبيشه جزيرة يابسه Ibiza من عمل ميورقة ، واستولى الجنويون والبيشيون عليها وانتهبوها ، وسبوا أهلها فى سنة ٥٠٨هـ (اغسطس ١١١٥م) . ثم فاجأ اسطول البيشيين والجنوية وشاركهم أمير برشلونه رامون برنجر وطائفة من اربونه ومنبلييه (٣٧) جزيرة ميورقة بالحصار ، فبادر ناصر الدولة مبشر بن سليمان والى الجزيرة بالكتابة الى الأمير على بن يوسف يستصرخه ويستنصره ، ولم يجد من يقدم على حمل هذا الكتاب الى الامير سوى ابا عبد الله محمد بن ميمون ، ذلك البحرى الجرىء المغامر ، الذى قبل أن يحمل الرسالة لاستنقاذ الجزيرة من الخطر الجاثم الذى يتهددها . ونجح ابن ميمون فى اختراق الحصار بغراب كان بين يديه ، اذ خرج ليلا من دار الصناعة وقد تستر بالظلام ، وتمكن من العبور الى

---

(٣٥) التجانى ، رحلة التجانى ، نشر الاستاذ حسن حسنى عبد الوهاب ، تونس ، ١٩٥٨ ص ٣٣٩ . ويسميه فى موضع آخر على بن ميمون (نفس المصدر ، ص ٣٣٥) ويعلق الدكتور أحمد مختار العبادى على اضطراب المصادر حول اسم ابن ميمون بأن منهم من يذكره على أنه على بن ميمون ، والبعض على أنه محمد بن ميمون (احمد مختار العبادى ، المرجع السابق ، ص ٢٤٦) . والحقيقة أن هناك قائدين بحريين من أسرة بنى ميمون ، الاول هو أبو عبد الله محمد بن ميمون والثانى هو أبو الحسن على بن عيسى بن ميمون ابن اخت القائد الاول (المقرى نفح الطيب ، ج١ ص ١٥٧) .

(٣٦) المقرى ، نفح الطيب ، ج٤ ص ٢٠٦

(٣٧) Jacinto Bosch Vila, los Almorávides, Tetuan, 1954, p. 191.

المغرب ، واستنهض عزيمة الأمير على بن يوسف على التحرك السريع لتخليص ميورقة من غزو محقق . ولم يتردد الأمير على بن يوسف فى تعمير ثلاثمائة قطعة بحرية على الفور وتسييرها الى ميورقة بقيادة قائد البحر ابن تاقرطاس ، فلما شعر العدو بخروج هذا الأسطول رفع الحصار عن الجزيرة وصدر عنها مكتفيا بما حمله من السبى والغنائم . ومنذ ذلك الحين « تعين ابن ميمون عند امير المسلمين» (٣٨) ، فقدمه على بن يوسف قائدا للأسطول البحرى بالمرية فى سنة ٥١٠هـ ، « فكان له غزوات مشهورة وامور مذكورة » (٣٩) . وكان يوجه حملاته البحرية على صقلية وايطاليا الجنوبية ، وكان على حد قول ابن الخطيب « صاحب الأسطول وصنيعة الملثمين ، وقد كان وفى لهم واستمسك بدعوتهم » (٤٠) . وكانت له فى البحر صولات وجولات ضد اعداء الاسلام ، وشارك فى كثير من العمليات البحرية التى قام بها المرابطون ضد النورمنديين فى صقلية ، التى كانت قد سقطت فى ايدى هؤلاء النورمنديين فى سنة ٤٨٤هـ (١٠٩٢م) . ومنذ ذلك الحين اصبحت صقلية مركزا يغير منه النورمنديون على سواحل افريقية مما دفع الزيريين أصحاب افريقية الى الاستعانة بالمرابطين بنى عمومتهم . فكان الأمير على بن يوسف يعهد الى قائده ابى عبد الله محمد بن ميمون بالاغارة على صقلية والعيث فى بلاد رجار الثانى . ففى سنة ٥١٥هـ عهد الامير على بن يوسف الى قائد البحر ابى عبد الله محمد بن ميمون بغزو «بلاد الروم » ، ويقصد بها هنا سواحل ايطاليا ، وفى ذلك يقول ابن عذارى : « وفى هذه السنة نفذ عهد امير المسلمين على بن يوسف الى (ابى عبد الله) محمد بن ميمون قايد الأسطول بتعمير حملة وغزو بلاد الروم بها ، فعمر خمسة وعشرين (فراغ) الدربة والنجدة ، فاستفتح

---

(٣٨) ابن الكردبوس ، كتاب الاكتفاء ، ص ١٢٢ ، وانظر مختار العبادى ، تاريخ البحرية الاسلامية ص ٢٤٤ .
(٣٩) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج٤ (عصر المرابطين) ص ٦٢
(٤٠) ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ص ٢٥٦ .

مدينة قطرون وهى على مسافة يوم من مدينة (فراغ) فيها ، وامتنعت جملة من أهلها بقصبتها وهى وعرة المرتقى باسقة الذرى ، فتعلقت (فراغ) واشرفوا على استفتاحها ، فحماها الليل (فراغ) دونها وصدر المسلمون الى الأسطول وعدها (فراغ) وخمسون راسا من السبى وكثير (فراغ) وانصرف عنها القايد الى المرية » ([٤١]) .

وفى السنة التالية (سنة ٥١٦هـ) سير على بن يوسف ابا عبد الله محمد بن ميمون قائد اسطوله الى صقلية لغزو نقوطره Nicotra من عمل رجار ، ففتحها وسبى نساءها واطفالها . وكان الامير الزيرى على بن يحيى بن تميم صاحب افريقية قد كتب الى رجار عندما وقعت بينهما الوحشة يتهدده بادخال الملثمين والعرب الى صقلية ، فلما كان من غزو ابى عبد الله ماكان من غزوه لنقوطره ، لم يشك رجار صاحب صقلية أن السبب الباعث على ذلك والمحرك له هو على بن يحيى ، «فاستنفر اهل بلاد الروم قاطبة ، واكثر الاستنصار واستجاش وحشد كأنما فى ذلك كله لأمره ، فمنع السفر الى سواحل المسلمين ، والتأم له مالم يعهد مثله » ([٤٢]) .

وذكر الزهرى أن «غارات المسلمين فى البحر من بلاد الأندلس الى هذه البلاد (بلاد الرمانية) ، وكان يومئذ على الأسطول محمد بن ميمون من مدينة المرية ، وغزاها من بعده من اشبيلية عيسى بن ميمون »([٤٣]) .
وظل ابو عبد الله بن ميمون مواليا للمرابطين مخلصا فى خدمتهم الى أن تهاوت دعائم دولتهم بعد وفاة على بن يوسف . ومع ذلك فقد واصل

---

(٤١) ابن عذارى ، البيان المغرب (القسم الخاص بالمرابطين) ج٤ ، ص ٦٦ .
(٤٢) نفس المصدر ، ص ٦٧ ، وانظر ايضا : امارى ، المكتبة الصقلية ، نصوص جمعها الاستاذ ميشيل امارى ، ونشرها فى ١٨٥٧ ، ص٣٧١
(٤٣) الزهرى ، كتاب الجغرافيا ، تحقيق محمد حاج صادق ، دمشق ، ١٩٦٨ ، ص ٧٦ .

بذل خدماته للامير تاشفين بن على ٠ وكان هذا الامير قد ابتنى حصنا بحريا على مقربة من وهران اتخذه ملاذا له وحصنا يتحصن فيه ، واوعز الى أبى عبد الله محمد بن ميمون قائد أسطوله بالمرية بأن «يجهز لـ عشرة اجفان غزوية تكون بمرسى هذا الحصن ، معدة لحادث يحدث عليه وان الجأته ضرورة الى الجواز الى الأندلس جاز » (٤٤) ٠

فلما أختلت احوال تاشفين ، وحاصره الموحدون فى شعاب الجبال كتب الى ابن ميمون قائد أسطوله ، يأمره بالاقلاع الى ساحل وهران ، واتجه تاشفين اثر ذلك الى الحصن المذكور ليقلع منه على الأجفان الأندلسية الى الأندلس ، ولكنه تردى بفرسه فى أحد الاجراف القريبة من الحصن ، فهوى به فرسه من شاهق بازاء رابطة وهران ، فتوفى فى ليلة ٢٧ رمضان سنة ٥٣٩هـ (٤٥) ٠

وهكذا لم يقدر لابن ميمون أن ينقذ الأمير تاشفين بن على مع خلوص نيته فى انقاذه ، وعلى الرغم من اقتناعه بانهيار دولة المرابطين لاسيما بعد مصرع تاشفين وقيام الثورات على المرابطين فى مناطق عديدة من الأندلس (٤٦) ، فقد ظل وفيا لهذه

---

(٤٤) مجهول ، الحلل الموشية ، تحقيق سهيل زكار ، وعبد القادر زمامة ، الدار البيضاء ، ١٩٧٩ ، ص ١٣٢ ٠

(٤٥) البيذق ، كتاب أخبار المهدى بن تومرت ، تحقيق عبد الحميد حاجيات ، الجزائر ، ١٩٧٥ ، ص ١٠٧ ـ ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ص ٢٤٨ ٠

(٤٦) من ذلك أبو القاسم أحد بن قسى فى مرتله ، وابو محمد سدراى بن وزير فى الغرب ، ويوسف البطروجى بلبلة ، ولبيد بن عبد الله بشنترين ، وأبو القمر بن عزوز بشريش ، وعلى بن عيسى بن ميمون بقادس ومحمد بن المنذر بشلب ، وابن عنان فارس بيابرة ، ومحمد بن على بن الحجام ببطليوس ، وابو جعفر احمد بن حمدين بقرطبة ، وأبو الحكم بن حسون بمالقة ، وأبو مروان عبد الملك بن عبد العزيز ببلنسية ، وأبو عبد الله بن أبى جعفر بمرسية ، وأبو امية احمد بن عاصم بأريوله ، ويوسف بن عبد الرحمن بن جزى بجيان ، وأبو عبد الله محمد بن سعد بن مردنيش بشرق الاندلس ٠

الدولة (٤٧) ، مواليا وهو فى قاعدته البحرية بالمرية لبنى غانية أصحاب جزر البليار الموالين للمرابطين ، ومن الادلة التى نستند عليها فى ذلك

---

(٤٧) يذكر البيذق فى معرض حديثه عن أحداث الفترة التى سبقت مقتل تاشفين بن على مباشرة أن القائد ابن ميمون كان فى طريقه بحرا الى وهران لانقاذ تاشفين فى الوقت الذى كانت قوات الموحدين تقطع الطريق على تاشفين لقتله واسقاط دولته (البيذق ، المصدر السابق ، ص ٩٨) . واذا كان هذا النص يعبر عن وفاء ابن ميمون لسيده تاشفين بحيث خرج بالقطائع تجاه وهران لانقاذه فان البيذق يسوق خبرا نقله ابن عذارى عنه باختصار يؤكد فيه ان ابن ميمون القائد أعلن توحيده قبل مقتل تاشفين بن على بفترة قصيرة للغاية وذلك عقب الهزيمة التى تلقاها على أيدى الموحدين بالقرب من بجاية فى منطقة تعرف ببين الصخرتين . يقول البيذق: « وعند ذلك جاءت الحملة من بجاية وقائدها ابن ميمون بن المنتصر ، فطلعوا على قتالنا فهزمناهم من بين الصخرتين الى باب المدينة ، فقتلنا منهم الذى وعد الله بقتله ، فأصبحوا هاربين ، ولحق القائد ابن ميمون الى متيجه ، فبعث للخليفة رضه بالتوحيد، وقال له : ان انت استفتحت المغرب فتجىء الى المشرق تصيبه مفتوحا وانا قائده » (البيذق ، أخبار المهدى ، ص ١٠٥ ، ١٠٦). اما ابن عذارى فيذكر انه لما وصلت حملة بجاية لنصرة تاشفين سنة ٥٣٩هـ بهدف قتال الموحدين ، وكان يقودها ميمون بن المنتصر ، هزمهم الموحدون من الصخرتين الى باب تلمسان ، وبعث القائد المذكور الى عبد المؤمن يعلمه بتوحيده سرا ، ويعلمه بفتح افريقية اذا فتح المغرب . (ابن عذارى ، ج٤ ص ١٠٣) .
واذا اخذنا برواية البيذق وابن عذارى ، فان مضمون الرواية يشير الى أن قائدا يدعى ميمون بن المنتصر بايع الموحدين سرا قبل وفاة سيده تاشفين . ونعتقد أن اسم هذا القائد (ميمون بن المنتصر) ليس الاسم الذى عرف به قائد البحر أبو عبد الله محمد بن ميمون، وأن الاسمين لشخصين مختلفين . ثم انه ليس منطقيا ان يوحد ابن ميمون القائد الوفى لتاشفين قبل مصرع تاشفين بقليل فى الوقت الذى كان يخلص لتاشفين ويسعى الى انقاذه فى رابطة وهران قبل أن يلقى مصرعه . ونستدل على صحة هذا الرأى من رواية أوردها ابن عذارى وضح فيها الاختلاف بين ابن المنتصر وابن ميمون ، فبينما يذكر ان ابن المنتصر الذى وصل من بجاية فى سنة ٥٣٩ بعد هزيمته على أيدى الموحدين اتصل بعبد المؤمن سرا يعلمه بتوحيده ، يستطرد قائلا : «ولقى تاشفين بعسكر مشتت والقايد ابن ميمون فى الاسطول فى البحر برسم أن يطلع تاشفين فيها أن =

أن القائد محمد بن ميمون قبض وهو بالمرية على أبى مروان عبد الملك بن عبد العزيز صاحب بلنسية الذى فر من بلنسية ولحق بجبال المرية « وقيده وفاء لبنى غانية ، واقام عنده الى أن دفعه الى عبد الله بن محمد (بن على بن يوسف بن غانية المسوفى) عدو ابن عبد العزيز وطريده من بلنسية وشاطبه ، وقد ورد على المرية فى قطع ميورقة برسم اتباع العدو ، فعف عبد الله عن دمه واحتمله معه مقيدا ، ونقم الناس على ابن ميمون فعله» (٤٨) . وعندما اخرج أهل المرية من كان لديهم من حامية المرابطين ، واختلفوا فيما بينهم عمن يقدمونه عليهم ، وقع اختيارهم على القائد ابى عبد الله محمد بن ميمون ، فرفض أبو عبد الله هذا الاختيار ، واعتذر بقوله : «انما انا رجل منكم ، ووظيفتى البحر وبه عرفت ، فكل عدو جاءكم من جهة البحر فانا لكم به ، فقدموا على انفسكم من شئتم غيرى » ، فقدموا على انفسهم رجلا منهم يدعى عبد الله بن محمد الرميمى (٤٩) .

ويبدو أن اخلاص أبى الله محمد بن ميمون للمرابطين لم ينسه واجبه الأول فى الجهاد البحرى ضد قوى المسيحية ، وربما كان ذلك هو السبب الذى من أجله دخل فى خدمة الموحدين ، ودفعه ذلك الى مهاجمة النورمنديين فى صقلية (٥٠) ، والاشتراك بحرا مع الموحدين فى تحرير

= رأى مالا طاقة له من قتال الموحدين ، فلم يقدر الله . وخرج عسكر من الموحدين واتباعهم لقتال تاشفين قود عليه عبد المؤمن بن على السيد أبا حفص ، فهزم عسكر تاشفين ، وتبعه ، وأحاط به وحصره ، فخرج تاشفين فارا بنفسه يريد الدخول فى القطايع ، فبينما هو سائر على فرسه فى الليل اذ صادف حافة حاف منها ومات » (ابن عذارى ، ج٤ ص ١٠٤) .

(٤٨) ابن الابار ، الحلة السيراء ، تحقيق د. حسين مؤنس ، ج ٢ القاهرة ١٩٦٣ ، ص ٢٢٢ .

(٤٩) عبد الواحد المراكشى ، المعجب ، ص ٢١٠ .

(٥٠) التجانى ، رحلة التجانى ، ص ٣٤٧ ، ٣٤٨ . ومن الجدير بالذكر أن التجانى يسميه محمد بن عبد العزيز بن ميمون .

المهدية من الاحتلال النورمندى ([٥١]) ٠ وهذا يدعونا الى الاعتقاد بأنه كان مجاهدا بحريا،بغض النظر عنتبعيته سواء للمرابطين أو الموحدين وهو فى سبيل الجهاد البحرى اضطر الى الدخول فى خدمة الموحدين ٠

وتلى شخصية أبى عبد الله محمد بن ميمون من بين قواد البحر من بنى ميمون شخصية أبى الحسن على بن عيسى بن ميمون والى جزيرة قادس ، وقائد أسطول المرابطين فى جنوب الأندلس ([٥٢]) ٠ وعلى بن عيسى هذا هو ابن أخت قائد البحر محمد بن ميمون ([٥٣]) ٠ وكان بخلاف خاله محمد بن ميمون لاتهمه الا مصلحته الشخصية ، فلما انهارت دولة المرابطين بمصرع أميرهم تاشفين ، لم يتردد فى الخروج عليهم ، فكان فى مقدمة من ثار من زعماء الأندلس على المرابطين عندما أيقن بقرب نهايتهم ، فأقدم على خلع طاعتهم سنة ٥٣٩هـ ، واعلن استقلاله بجزيرة قادس ٠ وفى سنة ٥٤٠هـ عبر البحر الى المغرب ، وسار الى لقاء عبد المؤمن بن على ، وكان يومئذ قائما على حصار فاس ، فقدم اليه طاعته ، ثم عاد الى قادس ، واقام بها الخطبة للموحدين ([٥٤])

---

(٥١) الحلل الموشية ، ص ١٥٤ ٠

(٥٢) تمكن أبو الحسن على اثناء خدمته للمرابطين من أسر القائد القطلانى الربرتير Reverter ، واستاقه الى مراكش (ابن الأبار ، الحلة السيراء ، ص ١٩٣ وما يليها) وكان الربرتير قائدا لطائفة النصارى الذين دخلوا فى خدمة المرابطين واخلصوا فى خدمتهم (ابن عذارى ، ج٤ ص ٩٨) ٠ وقد لقى الربرتير مصرعه فى سنة ٥٣٩ فى احدى معاركه مع الموحدين (ابن عذارى ، ص ١٠٣) ٠

(٥٣) المقرى ، نفح الطيب ، ج١ ص ١٥٧ ٠

(٥٤) ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص ٢٤٨ ٠ وأنظر محمد عبد الله عنان ، عصر المرابطين ، ص ٣٢١ ، ٣٢٣ ٠
Anwar G. Chejne, Historia de España musulmana, p. 75.

وكان أبوه عيسى بن ميمون قائدا له شهرته فى البر والبحر ، كما أسندت اليه ولاية شنتمرية الغرب ([٥٥]) . ويبدو ان خلافا وقع بين عيسى بن ميمون وبين بنى غانية بقرطبة ، ربما بسبب ميل عيسى بن ميمون للموحدين ، ولهذا أقدم بنو غانية على حبس ابن ميمون فى سجن قرمونة ([٥٦]) . فلما افتتح الموحدون مدينة فاس فى ذى القعدة سنة ٥٤٠هـ ، فر صاحبها يحيى بن أبى بكر الصحراوى ، وتحصن بسبتة . ولكى يطلق على بن عيسى بن ميمون سراح والده عيسى السجين بقرمونة قبل أن يجيز الصحراوى الى قادس ، كما أجاز من كان برفقته من اللمتونيين ومرتزقة القطلان والقشتاليين الذين كانوا فى خدمته الى جزيرة قادس . وفى مقابل ذلك قبل ابن الصحراوى ان يشفع فى عيسى بن ميمون والد القائد على لدى بنى غانية بقرطبة ، وأمكنه أن يخرجه من سجنه بقرمونة ويسرحه اليه ([٥٧]) ، وضمانا لاطلاق سراح ابيه سطا على بن عيسى على خيل ابن الصحراوى ، واعتقل من بقى لديه من رجال وارتهنهم فى قادس . فلما وصل يحيى الصحراوى الى قرطبة أوفى بعهده واطلق سراح عيسى بن ميمون ، الذى لم يتردد فى التوحيد والدخول فى طاعة عبد المؤمن بن على ، وشارك الموحدين فى غزو شلب سنة ٥٤٣هـ ([٥٨]) .

أما ابنه صاحب البحر أبو الحسن على بن عيسى الذى ثار بقادس ضد المرابطين ، فقد سبق أباه فى بذل الطاعة لعبد المؤمن بن على ، وذلك فى طليعة عام ٥٤٠هـ ، ولم يتردد فى العبور الى العدوة ومقابلة عبد

---

(٥٥) ابن عذارى ، البيان ، القسم الموحدى ، ص ٣٩ .
(٥٦) ابن عذارى ، نص جديد لابن عذارى ، نشره عبد القادر زمامة ، صحيفة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية بمدريد ، عدد ٢٠ ، مدريد ١٩٨٠ ، ص ٨١ .
(٥٧) ابن عذارى ، نص جديد ، نشره عبد القادر زمامه ، ص ٨١
(٥٨) ابن عذارى ، نفس المصدر السابق ، ص ٨٩ ، وانظر ابن عذارى ، البيان ، القسم الموحدى ، ص ٣٩ .

المؤمن اثناء قيامه بحصار فاس كما سبق ان ذكرنا ، وهناك بايعه وقدم له فروض الطاعة . ثم أمره عبد المؤمن بالعودة الى قادس وهدم صنمها المشهور (٥٩) ، « فانصرف ، وشاع خبره بجزيرة الأندلس ، وخطب له على بن عيسى بجامع قادس ، وهى أول خطبة خطبت له (اى لعبد المؤمن) بجزيرة الأندلس ، وذلك فى أول عام أربعين وخمسائة » (٦٠).

وفى نفس الوقت اقنع على بن عيسى احمد بن قسى الصوفى الثائر على المرابطين وصاحب حصن مرتلة ببذل الطاعة لعبد المؤمن ، فأجازه فى غراب هو واصحابه المختصين به من مرتلة الى سبته . اما على بن عيسى بن ميمون ، فقد اهتم فور عودته الى قادس بهدم صنمها ذائع الصيت استجابة لأمر عبد المؤمن من جهة ، واعتقادا منه أن هذا الصنم يحتوى فى داخله عــلى كنوز ضخمة ، وأن جــوفه حشى بالتبر . فبادر بتدميره ، ولكن خاب ظنه ، ولم يستخرج من حجارته سوى كميــات كبيرة من الرصاص والنحاس المذهب المعقود بالحجارة (٦١) .

وكان يقال انه اذا هدم صنم قادس استولى النصارى على بــلاد

---

(٥٩) كان الموحدون يكرهون التمثيل بخلق الله ، ولهذا كانوا يكرهون الصور الآدمية ويعتبرونها اصناما ، وقد فعلوا نفس الشىء بتمثال الزهراء الذى كان منصوبا على باب مدينة الزهراء ، اذ أمــر المنصور الموحدى بانزاله وتدميره اثناء تقدمه بجيوش الموحديــن للقاء قوى المسيحية مجتمعة .

(٦٠) ابن عذارى ، البيان ، نص جديد ، ص ٨٣ .

(٦١) الزهرى ، كتاب الجغرافية ، ص ٩١ ـ ياقوت ، معجم البلدان ، مادة قادس ـ الحميرى ، الروض المعطار ، ص ٤٤٩ ـ المقرى ، نفح الطيب ، ج١ ص ١٢٧ ، ١٥٧ .

الأندلس ، واتفق أن دخل النصارى قرطبة فى سنة ٥٤٠ (٦٢) .

كذلك قيل أن الذى يتجرأ على هدمه يموت مقتولا (٦٣) ، وهكذا كان (٦٤) .

---

(٦٢) الحميرى ، المصدر السابق ، ص ٤٤٩ . كان ابو جعفر احمد بن محمد بن حمدين الذى انتزى بقرطبة قد خرج عنها بعد ان اقدم احمد بن عبد الملك بن هود صاحب روطة Rueda على دخولها فى قوة من انصاره القشتاليين ، ولكن اهل قرطبة تبرموا بحكمه سريعا وضاقوا ذرعا من استبداد وزيره ، وثارت نفوسهم غضبا لمجرد رؤية أجناده النصارى يجوبون شوارع قرطبة ، فانقلبوا على ابن هود بعد ثمانية أيام من تبعيتهم له ، فاضطر ابن هود الى الفرار الى جيان ، وعاد ابن حمدين فى أعقاب ذلك الى قرطبة فى ١٠ ذى الحجة سنة ٥٢٩هـ ، فنودى به أميرا عليها للمرة الثانية (ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص ٢٥٣) . ولكن أهل قرطبة لم يلبثوا أن تبرموا به بعد مضى ١١ شهرا من توليه الامارة فاتصلوا بيحيى بن غانية باشبيلية واستعانوا به على أخراج ابن حمدين من بلدهم ، فقدم ابن غانية فى جمادى الآخرة من سنة ٥٤٠هـ ومعه فرقة من النصارى ، وأوقع بقوات ابن حمدين فى احواز استجه ، ودخل قرطبة فى ١٢ شعبان سنة ٥٤٠هـ . ودخل النصارى قرطبة وعاثوا فسادا فى مسجدها الجامع،وربطوا خيولهم فى أروقته ، واقاموا قداسا حافلا ، ويؤرخ المراكشى هذه الحادثة خطئا بسنة ٥٠٣ (عبد الواحد المراكشى،المعجب ،ص٢٧٣) . ويذكر ابن غالب صاحب فرحة الأنفس هذه الحادثة بشىء من التفصيل فيقول : « ودخلت النصارى هذا الجامع المكرم عند دخولها قرطبة سنة أربعين وخمسمائة عندما هاجت الفتنة الثانية ، ثم من الله تعالى بخروجهم بعد تسعة أيام أو نحوها ، وحملت التفاتيح التى كانت فى المنار من الذهب والفضة ، وحمل من المنبر نحو نصفه ، وبقى الباقى ، ونهبت أوصاله وثريات الفضة عند دخولهم ، وأما باب الذهب الذى كان للمقصورة فانه نهب مع بيت مال الجامع فى الفتنة الأولى » (ابن غالب ، قطعة من كتاب فرحة الأنفس ، تحقيق د. احمد لطفى عبد البديع ، ص ٣٠ ، وأنظر السيد عبد العزيز سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة فى الأندلس ، ج١ ص ١٤٨ ، وهامش ٢) .

(٦٣) البيذق ، أخبار المهدى ، ص ١٢٢ ، ١٢٣ — الحميرى ، الروض المعطار ، ص ٤٤٩ .

(٦٤) البيذق ، المصدر السابق ، ص ١٢٣ .

ومن المعــروف ان عــلى بن عيسى بن ميمون اشترك مــع القوة الموحدية المتجهة لفتح اشبيلية فى أواخر عام ٥٤١هـ • فقد حاصرتها سفنه بحرا ، وساعد بذلك جيش الموحدين ومن انضم الى هذا الجيش مــن زعماء الاندلس الثوار أمثــال أبو محمد سدراى بن وزير شيخ اهــل الغرب ، ويوسف بن محمد البطروجى الثائر بلبلة ، ولبيد بن عبد الله قائد شنترين (٦٥) •

وفى سنة ٥٤٢هـ خرج على بــن ميمون صاحب قادس وشنتمريــة الغرب على الموحدين فى نفس الوقت الذى ثار فيــه احمــد بن قسى فى شلب ، والبطروجى فى لبلة ، وابن الحجام فى بطليوس ، وابن غانية فى الجزيرة على الموحدين وأخرجوهم • اما على بن عيسى بن ميمــون الثائر فى قادس فقد امتنع عن امداد اشبيلية بالعدد والأقوات بحرا عندما حوصر والياها عبد العزيز وعيسى أخوا المهدى محمد بن تومرت ، فقد كان على بن عيسى قائد البحر «مالكا له ، لاتجرى جارية فيه خوفــا منه ، لاستباحته أموال التجار ودمائهم الذين يسوقون الأقوات ويتصرفون فى مصالح المسلمين ، يقتلهم بسيفه ، ويسقيهم الموت من خوفه» (٦٦) •

ولكن على بن عيسى بن ميمون لم يلبث ان اعلن عودته الى طاعة الموحدين (٦٧) ، واظهارا لحسن نواياه نحوهم ، جاز الى العدوة ،

---

(٦٥) ابن عذارى ، البيان المغرب ، القسم الموحدى ، ص ٣٤ – ٣٦ ، وانظر محمد عبد الله عنان ، عصر المرابطين ، ص ٣٢٧ •

(٦٦) ابن عذارى ، نص جديد من البيان ، ص ٨٨ •

(٦٧) فى أواخر عصر دولة المرابطين ثار جماعــة من اهالى الأندلس عليهم ، وأخذت وفود الأندلسيين تتوالى على عبد المؤمن بن على فى المغرب ، ومن بين زعماء الثوار الذين وفدوا على عبد المؤمن بن على ابو الغمر السائب بن عــزون زعــيم الثوار فى شريش واركش ورنده ، وابو جعفر بن حمدين الثائر بقرطبة ، وقد وفدا =

وحاصر يحيى بن ابى بكر الصحراوى الثائر فى سبتة ، ولكنه لقى

= عليه فى سنة ٥٤١هـ اثناء محاصرته لمراكش . كما وفد عليه احمد بن قسى زعيم ثوار غرب الأندلس ، كذلك قدم اليه بعد افتتاحه لمراكش وفد من اشبيلية برئاسة القاضى ابى بكر بن العربى يحمل اليه بيعة أهل اشبيلية عقب افتتاح الموحدين لها . وتختلف المصادر فى تحديد تاريخ تدخل الموحدين فى شئون الأندلس والطريقة التى تم بها هذا التدخل ، فابن ابى زرع يذكر فى روض القرطاس أن هذا التدخل يرجع الى اواخر عام ٥٣٩ عقب افتتاح عبد المؤمن بن على لتلمسان ، وذلك عندما أرسل عبد المؤمن الى الأندلس جيشا عدته عشرة آلاف فارس بقيادة الشيخ ابى عمران موسى بن سعيد ، وقد نزل هذا الجيش بساحل الجزيرة الخضراء ، فكانت أول مدينة يفتتحها هذا الجيش مدينة شريش، حيث خرج صاحبها ابو الغمر بن عزون واعلن طاعته ، ولذلك سمى اهلها بالسابقين الأولين ، ويحدد ابن ابى زرع تاريخ افتتاح الموحدين لها بشهر ذى الحجة سنة ٥٣٩هـ (ابن أبى زرع ، الروض القرطاس ، ص ١٢٢) .

اما ابن الأبار (فى الحلة السيراء ، ص ٢٠٠) وابن خلدون (فى كتاب العبر ، ج٦ ص ٢٣٣) فيذكران ان أول تدخل للموحدين فى الأندلس حدث فى أواخر عام ٥٤٠هـ ، وأن أول جيش للموحدين جاز الى الأندلس فى سنة ٥٤١هـ ، وذلك عندما وفد على بن عيسى بن ميمون قائد اسطول المرابطين فى قادس على عبد المؤمن بن على وهو يعسكر بقواته تحت أسوار فاس سنة ٥٤٠هـ ، وهناك اعلن طاعته له ، ثم عاد الى الأندلس حيث أقام الخطبة للموحدين بجامع قادس (ابن عذارى ، البيان ، القسم الموحدى ، ص ٣٤). وبذلك يسجل عام ٥٤٠ بداية للتدخل الموحدى فى الأندلس ، فى حين تسجل سنة ٥٤١هـ أول تدخل عسكرى لهم عندما سير عبد المؤمن جيشا الى الأندلس بقيادة براز بن محمد المسوفى ، شارك فيه ابن قسى ، وقد افتتح هذا الجيش مدينة طريف والجزيرة الخضراء ، ثم اتجه الى شلب لينتزعها من يد ابن وزير ويردها الى ابن قسى . ثم أمد عبد المؤمن هذا الجيش بجيش آخر بقيادة موسى بن سعيد ، ثم بجيش ثالث بقيادة عمر بن صالح الصنهاجى (ابن الأبار ، الحلة السيراء ، ج٢ ص ٢٠٧ ـ سحر السيد عبد العزيز سالم ، التاريخ السياسى لبطليوس الاسلامية ، رسالة ماجستير ، ص ٥٣٢ ـ ٥٣٤) .

وبعد ان أتم الموحدون السيطرة على كل من الجزيرة الخضراء =

مصرعه على يديه (٦٨) .وبمصرع على بن ميمون تنتهى سلسلة رؤساء

= وشريش ولبلة ومرتله وشلب وباجه وبطليوس ، تقدموا الى اشبيلية وطلياطة وحصن القصر ، واحكموا الحصار حول اشبيلية برا وبحرا ، فقد حاصرتها من البحر سفن اسطول الأندلس بقيادة على بن عيسى بن ميمون صاحب قادس ، كما سبق ان اشرنا ، ولم يطل أمد حصار اشبيلية اذ سرعان ما سقطت فى أيدى الموحدين سنة ٥٤٢هـ ، ووليها من قبلهم عبد العزيز وعيسى أخوا المهدى ، ولكنهما أساءا السيرة فى اشبيلية وطغيا واستبدا بالاهالى ، فثار عليهما الناس ، وناهضهما يوسف البطروجى صاحب لبلة ، واخرج الموحدين منها ، وتحالف مع بقايا المرابطين ، وكذلك فعل أهل طلياطة وحصن القصر . ثم خرج ابن قسى صاحب شلب على الموحدين ، وتابعه فى ذلك ابن ميمون صاحب قادس ، وابن الحجام صاحب بطليوس ، وذلك فى نفس الوقت الذى اشتعلت فيه ثورة الماسى ضد الموحدين فى المغرب سنة ٥٤٢هـ . وانتهز يحيى ابن غانية هذه الفرصة وانتزع الجزيرة الخضراء من أيدى الموحدين . فلما علم أهل سبتة ذلك أقدموا برئاسة القاضى عياض السبتى على خلع الطاعة للموحدين ، وقتلوا واليها يوسف بن مخلوف التنمللى ومن معه من عسكر الموحدين ، وتولى أمرها يحيى بن ابى بكر الصحراوى الثائر على الموحدين (وهو نفسه الذى سيتولى قتل على بن عيسى بن ميمون بعد أن يعود الى طاعة الموحدين للمرة الثانية) . وفى هذه الاثناء كان الموحدون بمساعدة ابن عزون قد حاصروا الجزيرة الخضراء ، واستولوا عليها ، وأخرجوا من فيها من المرابطين . وعندما بلغ عبد المؤمن ذلك سير جيشا بقيادة يوسف بن سليمان وبراز المسوفى الى لبلة ، وتمكنا من القضاء على ثورة البطروجى هناك . ثم اخضع هذا الجيش الموحدى طلياطة وحصن القصر وطبيرة ، وعلى أثر ذلك اعلن على بن عيسى بن ميمون صاحب قادس عودته للطاعة ، وحذا حذوه سائر ثوار الأندلس .

(٦٨) ابن عذارى ، البيان المغرب ، القسم الخاص بعصر الموحدين ، ص ٣٢ ، ٣٣ ، ويصف البيذق مصرع على بن عيسى بن ميمون بقوله : (وجاء الصحراوى من ذلك البر بعد هروبه ، أرسل وراءه أهل سبتة ، فجاءهم ، ثم جاء على بن عيسى الموحد صاحب البحر بالقطائع ، وحصرهم فى سبتة ، فخرج اليه الصحراوى من المدينة، وقال له : اريد ان يكون توحيدى على يديك يا أبا الحسن . قال له : نعم . وكان يساره حتى أنسه ، فقال له : احملك الى الخليفة ثم رجع الصحراوى الى المدينة ، وعاد على بن عيسى ايضا الى =

البحر من بنى ميمون ، رؤساء جزيرة قادس فى عهد المرابطين وبداية عصر الموحدين (٦٩) .

= القطائع . فلما كان غدا خرج يحيى أيضا ، واشار عليه على بن عيسى ، فجاءه يحيى ، فهبط على من الغراب وأراد الجلوس معه ، فرأى فى وجه يحيى الغدر ، وأراد أن يرجع الى الغراب ، فرمى عليه يحيى حصانه ، فضربه بالنصل بين الكتفين حتى نفذه ، وأخذه غلام الصحراوى فجره الى سبتة ، فأخذه الصحراوى ، وصلبه فى برج المدينة (البيذق ، أخبار المهدى بن تومرت ، ص ١٢٣) . أما يحيى بن أبى بكر الصحراوى المعروف أيضا بابن الصحراوية ، فقد ظهر ولمع اسمه عند خروج أهل سبتة عن طاعة الموحدين ، ذلك أن القاضى عياض قاضى سبتة ، وكان من أعظم فقهاء عصره وأنزههم ، كان قد نقل الى قضاء غرناطة (سنة ٥٣١هـ) ثم أعيد بعد ذلك الى قضاء سبتة (سنة ٥٣٩هـ) . وفى أواخر عام ٥٤٠هـ بادر القاضى عياض بالدخول فى طاعة الموحدين ، وسار الى لقاء عن المؤمن بن على فى سلا . وعلى الرغم من توحيده الا انه غدر بالموحدين وأعلن تمرده عليهم بعد فترة وجيزة ، فأخذ يحرض أهالى سبتة على واليها الموحدى يوسف بن مخلوف التنمللى (ابن عذارى ، البيان ، القسم الموحدى ص ٢٦ ، ٣٢ ، ٣٣) فثاروا عليه وقتلوه . وعلى أثر ذلك جاز القاضى عياض الى الأندلس حيث التقى بيحيى بن غانية ممثل المرابطين فى الأندلس وطلب منه أن يرسل اليه واليالسبتة موال للمرابطين. فأرسل ابن غانية يحيى بن أبى بكر الصحراوى معه . وفى نفس الوقت استنجدت قبيلة برغواطة بابن الصحراوى ليساعدها فى محاربة قوات عبد المؤمن . فخرج من سبتة لمعاونتهم . وتختلف الروايات بشأن ما تلى ذلك من أحداث ، وأن كنا نميل الى الاخذ برواية البيذق ، وتشير هذه الرواية الى أن على بن عيسى بن ميمون حاصر ابن الصحراوى بسبته عقب نزوله بها ، وذلك بعد أن عاد الى موالاة الموحدين ، فخدعه ابن الصحراوى وأوهمه أنه يتمنى لو يكون توحيده على يدى ابن ميمون (البيذق ، أخبار المهدى ، ص ١٢٢) . وفى اليوم التالى هجم ابن الصحراوى على ابن ميمون وقتله وصلب جثته على برج من أبراج المدينة . ثم غادر الصحراوى سبتة بعد ذلك الى طنجة (البيذق ، المصدر السابق ، ص ١٢٣ ، وانظر أيضا ابن عذارى ، البيان المغرب ، القسم الموحدى ، ص ٣٢ ، ٣٣) .

(٦٩) ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، ج٢ (طبعة د. على عبد الواحد وافى) ص ٦٣١ .

ونستطيع أن نؤكد من خلال استقرائنا للنصوص التاريخية بـأن قادس استرجعت فى ظل الموحدين اهميتها العسكرية بفضل قاعدتهـا البحرية ، كذلك انتعشت اقتصادياتها نتيجة لتوفر وسائل النقل البحرى. ويؤكد ذلك أن سفن كل من أسطولى سبتة واشبيلية تجمعت بجزيـرة قادس فى عام ٥٧٧هـ ، وخرجت من هناك تجـاه شلب ، ويعبر ابـن عذارى عن ذلك بقوله : «وفى هذه السنة (٥٧٧هـ) كانت وقعة أيضا على النصارى فى البحر ، وذلك ان قائد سبتة عبد الله بن جامع ، وهو المولى عليها حين اسر غانم بن مردنيش ، خرج منهـا بالأسطـول ، وخرج القائد ابو العباس الصقلى من اشبيلية باساطيلها ، واجتمعوا جميعـا **بجزيرة قادس** وقد استكملوا اربعين قطعة ، فنهضوا منها بجمعهم الى جهة شلب ، فالتقوا بأسطول أهل اشبونه بالموضع الذى اسر فيه غانم ابن مردنيش فى البحر ، وعكس فيه فى المنتصف من محرم من العـام الفارط ، فالتقوا الآن فى الخامس عشر من محرم ايضا ، وهذا من اغرب الأشياء ، فنصر الله المسلمين فى هذا اليوم نصرا مؤزرا ، وقتل مـن النصارى كثيرا ، وأسر منهم نحو الألف وثمانى مايه ، ولم يمت فيه من المسلمين الا رجل واحد ، واخذت لهم من القطائع نحو العشرين مـع اسلابهم واسلحتهم ، واقتسموا الغنيمة من الأسرى وغيرهم ، وانصرفوا ظاهرين ظافرين الى موضعهم ، وبادر القائدان المذكوران ابن جامـع والصقلى بغنيمتهما من الأسرى الى أمير المؤمنين ، فأعطى منهم البعض فى فداء غانم بن مردنيش ، وضربت اعناق الباقين » ([٧٠]) .

---

(٧٠) ابن عذارى ، البيان المغرب ، القسم الموحدى ، ص ١٤٥
جاءت هذه الحملة البحرية الموحدية ردا على سلسلة من الاعتداءات البحرية البرتغالية ، ففى عام ٥٧٥هـ ازدادت حـدة الاعتداءات البرتغالية على السواحل الغربية للاندلس الامر الذى دفع خليفـة الموحدين (ابو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن) بأن يامر قائد البحر غانم بن مردنيش بن أبى عبد الله محمد بن سعد أمـير بلنسية وشرق الأندلس بأن يغزو مدينة أشبونة ، فتغلب غانم فى هذه =

وفى العام التالى (٥٧٨هـ) اغار البرتغاليون من شنترين والأشبونه على قرية شلوقة من اراضى الشرف [٧١] وعلى حصن القصر باقليم قادس • وبعد ذلك باعوام يذكر ابن عذارى أن سيلا جارفا بنهر الوادى الكبير اجتاح قرى وضياع الاندلس من مدينة قرطبة حتى جزيرة قادس، وتسبب هذا السيل فى احداث كثير من الاضرار والخسائر وخرب مناطق واسعة من الاراضى المجاورة ، ولانعرف على وجه الدقة الى اى مدى تاثر عمران مدينة قادس بهذا السيل [٧٢] •

= الغزوة على قطعتين بحريتين برتغاليتين ، وعاد بهما مظفرا الى سبتة ، فرد البرتغاليون على هذه الحملة البحرية الموحدية بالاغارة على جزيرة شلطيش Saltés • وفى العام التالى (٥٧٦هـ) واصل غانم بن مردنيش هجماته البحرية على سواحل البرتغال ، واقلع معه هذه المره اخوه ابو العلا فنزلا بقواتهما البحرية فى ميناء سان مرتين دى بورتو San Martin do Porto وبعد أن توغلا فى الاراضى البرتغالية عزما على فتح بلدة بورتو دى موس Porto do Mos ، ولكن أمير البحر البرتغالى فواس روبنهو Fuas Roupinho أوقع بالمسلمين هزيمة نكراء وأسر قائدهم غانم واخاه أبا العلا • وتحايل غانم من معتقله ابلاغ الخليفة الموحدى بأمره ، فأمر الخليفة ابا القمر هلال بن مردنيش بأن يبحر بأسطول الموحدين لاستنقاذ أخويه • وتذكر المصادر البرتغالية أن انتصار روبنهو شجعه على الاغارة على السواحل الغربية للاندلس وكذلك على ساحل مدينة سبتة • ولو صح هذا الخبر فمن الارجح أن تكون قادس قد تعرضت هى الأخرى للعدوان البرتغالى •

ثم كان خروج الأسطول الموحدى سنة ٥٧٧هـ بقيادة عبد الله بن جامع ردا على الغارات البرتغالية التى أشرنا اليها •

(أرجع الى ابن عذارى ، البيان المغرب ، القسم الموحدى ، ص ص ١٤٣ — ١٤٥ ؛

Huici Miranda, Historia Politica del Emperio almohade, t.I, Tetuan, 1927, P. 219 - أحمد مختار العبادى ، البحرية الاسلامية فى المغرب والاندلس ، ص ٢٦٥ — ٢٦٧) •

(٧١) ابن عذارى ، البيان المغرب ، القسم الموحدى ، ص ١٤٥

(٧٢) ابن عذارى ، المصدر السابق ، ص ٢٣٩ •

وكانت الاعوام الاخيرة من عصر الموحدين نكبة على جزيرة قادس فقد دخلت قادس فى فلك دولة ابن هود (ابو عبد الله محمد بن يوسف) مؤسس امارة مرسية فى عام ٦٢٦هـ (١٢٢٨م) والذى كان يسعى الى لم شعث الأندلس وتوحيدها لمواجهة خطر الاسترداد الاسبانى الوشيك .

أما محمد بن الأحمر مؤسس اسرة بنى نصر فى غرناطة ، فقد بايع ملك ارغون فى عام ٦٢٩هـ (١٢٣١م) (٧٣) ، واستولى على جيان وقرطبة وقرمونة فى عام ٦٣٠هـ (١٢٧٢م) (٧٤) ، وبياسة ووادى آش وغرناطة ومالقة فى عام ٦٣٧هـ (٧٥) (١٢٣٩م) .

وأثار انضمام اهل قادس لابن هود وخروجهم بذلك على الموحدين، غضبهم فأمروا فى سنة ٦٣١هـ عساكرهم المرتزقة من العناصر المسيحية بتأديب أهالى قادس بشدة بالغة انتقاما منهم لخروجهم عليهم . ولهذا السبب قام غنصله Gonzalo شقيق شانجة رئيس طائفة النصارى المرتزقة فى جيش الموحدين بالاغارة على مدينة قادس ، اثناء عبوره من الأندلس الى حاضره الموحدين فى المغرب . فاجتاح النصارى المرتزقة المدينة ، وخربوا مبانيها ، وقتلوا عددا كبيرا من اهلها ، واسروا عددا لاحصر له منهم اقتادوهم الى رباط آسفى ، وهناك قام اهالى الرباط بفداء أسرى جزيرة قادس المسلمين . وفى ذلك يقول ابن عذارى : « وفى هذه السنة وصل الزعيم غنصله اخو شانجه بعد فتكة فتكها عند جزيرة قادس ، وأسر جميع من فيها بعد قتل ذريع لأهلها ، وذلك أنه لما استقل من بلاده ، اجتاز على جزيرة قادس ، واعمل الحيلة فى الايقاع بأهلها والغدر بهم ، فأمكنته الحال من كمال مكره ، وتمام

---

(٧٣) ابن عذارى ، نفس المصدر ص ٢٩٦

(٧٤) نفسه ، ص ٢٩٦ .

(٧٥) نفسه ، ص ٣٥٦ .

غدره ، فغدر الجزيرة ومن فيها من المسلمين ، واستباح كل من بها ، واستاق من اهلها جماعة الى رباط آسفى ، وانتدب المسلمون لافتكاكهم بالفداء ، فلم يبق بايدى الروم احد من المسلمين . وهذه الفتكة الشنعاء كانت سببا لخراب جزيرة قادس حتى لم يبق لها رسم ، واستمر خلاؤها الى حين تملك النصارى مدينة اشبيلية وسائر بلاد الأندلس الا اقلها ، فملكوا قادس وغيرها » ([٧٦]) .

واستمرت قادس اسلامية رغم ما حل بها من الخراب الشنيع والتدمير الشامل ، الى أن استولى القشتاليون عليها فى سنة ٦٦٠هـ (١٢٦١م) على الأرجح . والواقع ان قادس عاشت ظروفا مضطربة للغاية منذ عام ٦٤٦هـ (١٢٤٨م) وهو العام الذى سقطت فه اشبيلية فى يد فرناندو الثالث . وتختلف المصادر فى تحديد تاريخ سقوط قادس فى ايدى القشتاليين بحيث يتعذر علينا أن نقطع بتاريخ ثابت لهذه الحادثة . فابن عذارى كما سبق ان ذكرنا يؤكد أن قادس وكثير من مدن الأندلس لم تسقط فى ايدى العدو الا بعد ان تملك اشبيلية اى بعد عام ٦٤٦هـ ([٧٧]) ، ولكنه لم يحدد تاريخا معينا لسقوطها ، كذلك فعل ابن أبى زرع . أما المصادر المسيحية فتختلف فى تحديد هذا التاريخ ، فمنها مايذكر أن سقوط شلوقه وقادس والقلعة وشذونة وشريش وروطه والبريجه وأركش على التوالى تم فى عام ٦٤٧هـ (١٢٤٩) ([٧٨]) ، ومنها ما يذكر أن هذه الحادثة وقعت سنة ٦٦٠هـ (١٢٦٢م) ([٧٩]) ، ومنها ما يذكر

---

(٧٦) ابن عذارى المراكشى ، البيان المغرب ، ص ٣٠٧ .

(٧٧) ابن عذارى ، المصدر السابق ، ص ٣٠٧ .

(٧٨) محمد عبد الله عنان ، عصر الموحدين ، ص ٤٨٨ نقلا عن

Antonio Ballesteros Bretta, la toma de Salé

وانظر
Cronica General de España, t. II, p. 770.

(٧٩) محمد عبد الله عنان ، نفس المرجع ، ص ٤٨٩ وانظر ايضا :

Agustin de Horozco, Historia de la ciudad de Cadiz, Cadiz, 1845, P. 98.

ان فرناندو الثالث افتتحها بعد استيلائه عـلى اشبيلية بسنتين اى فى سنة ١٢٥٠ ([٨٠]) . ولكى نناقش ذلك لابد ان نوضـح ان قادس بدأت تتعرض لسلسلة من الاعتداءات المسيحية منذ اليوم الذى تعرضت فيـه قبل ذلك لعيث المرتزقة النصارى الذين كانوا فى خدمة الموحدين كما سبق ان ذكرنا ، وابرز هذه الاعتداءات واكثرهـا اثرا عـلى بطليوس ذلك العدوان الذى اشار اليه ابن ابى زرع فى حوادث سنة ٦٤٢هـ (١٢٤٤م) ، فقد ذكر أن قادس تعرضت لغارة شديدة العنف حولت هذه المدينة الى ارض خالية من السكان ([٨١]) . وعلى الرغم مما اصاب قادس من نكبات، فقد حاول واليها القائد ابو عبد الله الرنداجى ان يأخذ بيدها ، ويصلح ما افسده المغيرون عليها ، ويعيد بناء ما تخرب من مبانيها .

ثم تعرضت عقب سقوط اشبيلية فى سنة ٦٤٦هـ فى أيدى القشتاليين لهجوم قشتالى عات اسفر عن استيلاء القشتاليين على قصبتها سنة ٦٤٧هـ (١٢٤٩م) . ولكن السيادة القشتالية عليها كانت موقوته ، واغلب الظن ان واليها القائد الرنداجى ،وكان ايضافى نفس الوقت قائد الأسطول،نجح فى استردادها من أيدى القشتاليين بعد أن قتل ثمانين من قادة الجيش القشتالى ، وفى ذلك يقول ابن ابى زرع : «وفيها (اى فى سنة ٦٤٧هـ) قتل القائد الرنداجى ثمانين من زعماء الروم بجزيرة قادس » ([٨٢]) .

ويبدو ان المصادر المسيحية التى ذكرت ان قادس وشريش واركش وروطة قد سقطـت فى سنـة ٦٤٧هـ عقـب سقـوط اشبيليـة فى ايـدى القشتاليين ([٨٣]) كانت تقصد تلك المحاولات المسيحيـة للسيطرة عـلى

---

(٨٠) Crónica de los Reyes de Castilla, ed. Joffre de Loayza, Murcia, 1982, P. 73.

(٨١) يقول ابن ابى زرع : «وفيها (اى فى سنة ٦٤٢هـ) دخلت مدينـة قادس بالسيف فنهبوها وبقيت خالية ، فبناها القائد ابو عبد الله الرنداجى » (الذخيرة السنية ، ص ٦٦) .

(٨٢) ابن ابى زرع ، المصدر السابق ، ص ٧٦ .

=

قصاب تلك المدن ، فاستيلاء القشتاليين على قصبة قادس يشبه الى حد كبير استيلائهم على قصبة شريش . ويبدو ان صاحب شريش اعلن بعد سقوط اشبيلية سنة ٦٤٦هـ خضوعه لفرناندو الثالث ملك قشتاله ، وتعهد له سنة ٦٤٨هـ بدفع اتاوة سنوية ، وتنازل له عن بعض الحصون الاسلامية التابعة له مثل اركش وفريش . يقول ابن ابى زرع : «وفيها (٦٤٨هـ) اعطى الوزير ابو خالد صاحب شريش للفنش (يقصد لالفونسو العاشر العالم) مدينة اركوش وحصن فريس وحصن تنكر والاقواس ... وفيها ملك العدو قرمونة والقلعة والقليعة وشلوقه وغليانه وروطة وجميع حصون الوادى وحصن الفرج » (٨٤) .

ولكن تنازل صاحب شريش عن مدينة اركش وعدد من حصونه لم يسر على قصبة شريش واركش وغيرها ، فقد ظلت القصبة فى هذه المدن صامدة ، ولم تسقط قصبة شريش الا فى عام ٦٥٩هـ (١٢٦٠م) على حد قول كل من ابن عذارى وابن ابى زرع (٨٥) .

ورغم سقوط قصبة شريش الا ان الياس لم يستول على قلوب اهل المدينة ، فاخذوا يوحدون صفوفهم لمواجهة العدو القشتالى المتمركز فى قصر شريش . وتمكن اهل شريش بمعاونة قوة من جيش بنى مرين عدتها ٣٠٠ فارس عبرت من المغرب الى الاندلس سنة ٦٦٢هـ (١٢٦٣م)

= (٨٣) Aguado Bleye., Manual وانظر ايضا
Cronica General de España, . II, P. 770,
de Historia de España, t. I, Madrid, 1947, p. 676 - Torres Balbas, la Mezquita de al - Qanatir y el Santuario de Alfonso el Sabio en el Puerto de Santa Maria, al - Andalus, vol. VII, 1942, p. 154.

(٨٤) ابن ابى زرع ، الذخيرة السنية ، ص ٧٩ .

(٨٥) ابن عذارى ، البيان ، ص ٣٦٧ - ابن ابى زرع ا المصدر السابق ، ص ٩٦ .

بقيادة الأمير ابى عبد الله محمد بن ادريس واخيه عـامر من اخراج القشتاليين من شريش ، وفى ذلك يقول ابن عذارى : «واخرج اهـل شريش من كان معهم فى القصبة ساكنين ، فقد كانوا سكنوا بها نحوا من اربع سنين ، وضبطوا مدينتهم وقصبتهم بقية هذه السنة فكانوا بهـا هادنين » (٨٦) .

وواصل اهل شريش سيطرتهم على مدينتهم الى ان تغلب عليهم القشتاليون بعدما يقرب من عامين ، فى سنة ٦٦٥هـ (١٢٦٦م) وأخرجوهم من المدينة (٨٧) .

وتتشابه الظروف التى اسفرت عن سقوط شريش فى أيدى القشتاليين الى حد كبير مع ظروف سقوط قادس ، فالمد والجزر الاسبانى عـلى هذه المدن أو تتابع السيادة الاسلامية والمسيحية عليها الى ان تحسـم احدى القوتين الغلبة فى نهاية الامر يتمثل بصورة واضحة عند دراستنا لنهاية قادس الاسلامية . فبعد أن تمكن القشتاليون من الاستيلاء عـلى قصبة قادس على اثر سقوط اشبيلية فى عام ٦٤٦هـ ، نجح القائد الرنداجى فى استرداد القصبة ، وقتل ثمانين من زعماء القشتاليين بها ، واستمرت قادس فى حوزة المسلمين الى ان سقطت نهائيا فى ايدى القشتاليين .

ويرى الأستاذ محمد عبد الله عنان أن سقوط قادس النهائى فى ايدى القشتاليين وقع فى سنة ٦٦٠هـ (١٢٦١م) اذ افتتحوا فى نفس هذا

---

(٨٦) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ص ٤٣١ ، ٤٣٢ وانظر أيضا نفس المصدر ص ١٠٠ ، ١٠١

(٨٧) ابن أبى زرع ، الذخيرة السنية ، ص ١١٢ . ويذكر Aguado Bleye أن الفونسو العاشر استرجع قادس سنة ١٢٦٣م كمـا استرجـع شريش فى يوليو ١٢٦٣م بعد حصار دام خمسة شهور
(Aguado Bleye, op. cit. p. 684)

العام شذونة والبريجة وغيرهما من قواعد الفرنتيرة ([٨٨]) ، وبالبحث فى المصادر الاسلامية المختلفة لم نجد ما يؤكد ذلك الراى . ولكن اذا رجعنا الى الذخيرة السنية والبيان المغرب فاننا نجد ان كلا من المصدرين يتضمن خبرا هاما يفيدنا فى تحديد العام الذى سقطت فيه قادس . يقول ابن ابى زرع فى اخبار سنة ٦٥٣هـ (١٢٥٥م) ان القائد محمد الرنداجى قتل بوادى اشبيلية ([٨٩]) . وفى اخبار سنة ٦٥٨هـ (١٢٥٩م) يذكر ابن عذارى ان العدو المسيحى الذى كان قد نزل بجزيرة قادس اراد ان يغير على اراضى الاسلام ، وكانت الاقوال تختلف فى اى موضع يقصد ، وتبين فيما بعد ان وجهته كانت سلا ، وقد انهزم العدو فى النهاية وفر قائد الحملة « فى ثلاثة قراقر الى الاشبونة ، فبقى مقيما بها ، ولم يرجع الى قادس حيث كانت تتجهز الاجفان المذكورة الا نحو خمسة وعشرين جفنا وسائرها تفرق اى تفريق وتمزق شمله خوفا من الطاغية اهلكه الله اى تمزيق » ([٩٠]) .

وقد اورد ابن ابى زرع هو الآخر اخبار غدر الروم بمدينة سلا([٩١]) . ونستدل من هذا الخبر الاخير على ان قادس كانت قد سقطت نهائيا فى ايدى القشتاليين فى ذلك العام ٦٥٨هـ بدليل انهم اتخذوا منها قاعدة بحرية لهم ولسفنهم ، ينطلقون منها لغزو اراضى المسلمين ، وكانت من بين هذه المدن سلا .

وقد حاولنا ان نربط بين الخبر الأول الذى يشير الى مقتل الرنداجى سنة ٦٥٣هـ بوادى اشبيلية وبين هذا الخبر الأخير ، وتوصلنا الى ان القشتاليين حاولوا فى سنة ٦٥٣هـ السيطرة على قادس ، واخراج

---

(٨٨) محمد عبد الله عنان ، عصر الموحدين ، ص ٤٨٩ .
(٨٩) ابن ابى زرع ، الذخيرة السنية ، ص ٨١ .
(٩٠) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ص ٤٢٢ .
(٩١) ابن ابى زرع ، الذخيرة السنية ، ص ٩٣ .

المسلمين منها ، وأن أهلها وجنودها بقيادة الرنداجى تصدوا لهم بكل ما يملكونه من قوة ، ولكن القشتاليين تغلبوا فى النهاية ، وانتهى الأمر بمصرع القائد الرنداجى واستسلام قادس وخضوعها نهائيا للسيادة القشتالية . وعلى الرغم من ذلك فلا يمكننا أن نحدد تاريخا ثابتا لسقوط قادس ، غير أن الضرورة التاريخية تحتم ان يقع ذلك الحادث فيما بين عام ٦٥٣هـ وهو العام الذى قتل فيه الرنداجى ، وعام ٦٥٨هـ الذى تحولت فيه قادس من قاعدة بحرية اسلامية الى قاعدة بحرية مسيحية اسبانية ،و مركزا لشن الغارات على الأراضى الاسلامية (٩٢) .

---

(٩٢) من بين مؤرخى اسبانيا المسيحية يرى أوغسطين دى اورثكو فى كتابه الذى صنفه فى سنة ١٥٩٥م أن القشتاليين استولوا على قادس فى سنة ١٢٦٢م (أنظر A. de Orozco, Historia de la ciudad de Cadiz, Cadiz, 1845, p. 98).

ويأخذ بهذا التاريخ أيضا من المؤرخين الاسبان الحديثين انطونيو بيستيروس بريتا ، فى بحثه :

Antonio Ballesteros Brieta, La toma de Salé en tiempo de Alfonso X el Sabio, al - Andalus, vol. VIII, 1943, p. 97.

الفصـل الرابـع

ملامح حضارية لقادس الاسلاميـة

(١) الحيـاة الاقتصادية

(٢) الحيـاة العلميـة

(٣) الآثار الاسلامية الباقية

الفصل الرابع

ملامح حضارية لقادس الاسلامية

(١)

الحيــاة الاقتصادية

يواجه الباحث فى الاوضاع الاقتصادية لقادس فى العصر الاسلامى صعوبات جمة مصدرها أن قادس كانت جزيرة صغيرة تواجه الساحل الجنوبى من الأندلس ولاترتبط بهذا الساحل الا عن طريق قنطرة تزود الجزيرة بالمياه العذبة ، وكانت هذه الجزيرة بحكم موقعها الاستراتيجى الهام عرضه للاعتداءات الخارجية سواء من النورمنديين أو من قوى المسيحية فى اسبانيا ، الامر الذى أدى الى نفور أهل الأندلس من توطنها والاستقرار بها . ولم ينتجعها الا فئة من التجار الذين كانوا يشتغلون بالصادر والوارد أو قلة من الاهالى ممن يحترفون بعض الصناعات أو يشتغلون بصيد الأسماك . ولكن قادس بحكم موقعها المتميز كانت من اصلح القواعد البحرية للاندلس ، اذ ان خليجها كان يتسع لتجمع أعداد هائلة من السفن ، ولهذا اتخذها النورمان فترة من الزمن وكرا لهم فى كل مرة يغيرون فيها على سواحل الأندلس الغربية والجنوبية . وعلى الرغم من قلة مازودتنا به المصادر العربية من مادة عن أحوالها الأقتصادية ، فاننا نستطيع أن نلمح من خلال هذه الشذرات المتناثرة هنا وهناك فى هذه المصادر بصيصا من الضوء يعيننا على تقويم حياتها الاقتصادية فى العصر الاسلامى ، ويمكننا أن نستنتج من النصوص الجغرافية أن قادس كانت غنية بمزارعها ، وفيرة الانتاج فى بعض المحاصيل الزراعية ، فالحميرى ينص فى الروض المعطار على وجود « مزارع كثيرة الريع » فى جزيرة قادس (١) ، كما يذكر أنها كانت

---

(١) الحميرى ، الروض المعطار ، ص ٤٤٨ .

غنية بغاباتها واشجارها الصنوبرية او أشجار الرتم ، وفى ذلك يقول : «وشعراؤها صنوبر ورتم» (٢) . والى جانب هـذا النـوع من النبات «الرتم» الذى كان يستخدم فى تربية الماعز ، كان يزرع بها نوع غريب من انواع الخروب (٣) ، اذا اكلت منه الماعز اسكر لبنها ولايكون ذلك فى البان الضأن . وكان للرتم نفس تلك الخاصية التى امتاز بها الخروب فى قادس (٤) .

وبالاضافة الى هذه النباتات الغريبة كانت بقادس غابات مـن اشجار تشبه النخيل يستقطر منها سائل مطاطى كان يضاف الى الزجاج ليتماسك ويتحجر ،ومنها كانت تصنع فصوص معينة ، عجائنها مزججة، وفى ذلك يقول الحميرى : «وبهذه الجزيرة شجيرة تشبه فسيل النخـل اذا خلط بالزجاج صبغه وصار حجرا تتخذ منه الفصوص » (٥) .

وقد اشتهرت قادس ايضا باعنابها ، اذ كان الكروم اهم مايزرع فى بساتينها (٦) ، كذلك اشتهرت بطيب توتهـا (٧) . وكـان شـجر المثنان من اهم الأشجار التى تنبت فى جزيرة قادس (٨) . ولكثرة ماكان يتوفر بقادس من نباتات غريبة ونادرة ، فقد ظهر من ابنائها منذ اقدم العصور علماء بارزون فى علم النبات والحشائش ومنهم جونيوس قلماله القادسى Junius Columella الذى استوحى ابن حجاج الاشبيلى من كتابه الكثير ، وكان قلماله قد استنبط افكارا وحقائق هامة فى عـلم

---

(٢) نفس المصدر ، ص ٤٤٨ .
(٣) نفسه ، ص ٤٤٨ .
(٤) نفسه ، وانظر : Pedro Martinez Montavez, op. cit. p. 12, 13.
(٥) الحميرى ، نفس المصدر والصفحة .
(٦) ابن سعيد ، المغرب فى حلى المغرب ، تحقيق د. شوقى ضيف ، ج١ ص ٣٠٩ .
(٧) مجهول ، ذكر بلاد الأندلس ، ص ٦٦
(٨) الحميرى ، الروض المعطار ، ص ٤٤٨ .

النبات من خلال تجاربه الشخصية فى اقليم الشرف واقليم قادس (٩) ، وهذا فى حد ذاته ينهض دليلا على عظم الثـروة النباتية والزراعيـة بجزيرة قادس ٠

ومن المعروف ان جزيرة قادس تتميز بتربتها الرملية السهلة (١٠)، وفى هذا النوع من التربة يجود من الثمار «شجر التين والرمان والتوت والصنوبر والسفرجل والخوخ والبرقوق والورد » (١١) ، والكثير مـن انواع الخضر (١٢) والمقاثى والكتان (١٣) ٠

وكانت تربة جزيرة قادس الرملية تحتاج للسماد شانها فى ذلك شان كل تربة رملية ، «فلابد لها من الزبل ، ويكون زبلا مخدوما متمكنا من الحرارة والرطوبة » (١٤) ، واحسن ماتكون عليه تلك التربة الرملية فى الاعتدالين (١٥) ٠ ويؤكد ابن بصال ان الارض الرمليـة بطبيعتهـا « ارض مامونة لايخشى عليها الاحتراق ، وان اكثر عليها بالزبل ، وهى قريبة المرام فى الخدمة ، مامونة فى الغالب من الآفات والجوايح» (١٦)٠

والأرض الرملية لاتحتاج فى ريها لكثير من الماء ، وفى ذلك يقـول ابن بصال : «وينبغى ان لايكثر عليها بالماء لان الماء يغيب داخلها وربما ظن بها انها لم ترو وهى قد اخذت فوق حقها لان غيرها من الأرضين

---

(٩) Rachel Arié, España musulmana, siglos VIII - XV, Barcolona, 1982, P. 221.

(١٠) مجهول ، ذكر بلاد الاندلس ، ص ٦٥ ٠

(١١) ابن بصال ، كتاب الفلاحة ، نشره خوسيه ماريه مياس بييكروسا ومحمد عزيمان ، المغرب ١٩٥٥ ، ص ٤٤ ٠

(١٢) ابن بصال ، المصدر السابق ، ص ٤٤

(١٣) نفس المصدر ، ص ٤٤

(١٤) نفسه ، ص ٤٣

(١٥) نفسه ، ص ٤٣ ، ٤٤

(١٦) نفسه ، ص ٤٤

يجرى عليها من الماء الشيء اليسير ، ويبقى على وجهها ، ويظن بها انها قد رويت وهى لم تيبس داخلها من الماء الا اليسير ، وينبغى أن تراعى فى سقيها ، وتعطش ، وحينئذ تسقى ولاتمكن من الماء كتمكين غيرها » (١٧) ٠

وكانت جزيرة قادس تزخر بالآبار العذبة (١٨) ، ولكنها لم تعتمد فى سقيا الأراضى الزراعية على مياه الآبار فحسب ، بل اعتمدت أيضا على مياه نهر وادى لكة التى كانت تصل اليها عن طريق القناطر أو الأقواس أو جسر المياه كما سبق أن ذكرنا (١٩) ، هذا بالاضافة الى مياه الأمطار التى تسقط بكثرة فى فصل الشتاء ٠

ومن المعروف ان كورة شذونة بما فى ذلك قادس التى كانت تتبعها كانت تشتهر بوفرة مياهها وكثرة أنهارها وسواقيها وأرحائها التى تدار بقوة دفع المياه (٢٠) ٠

وفيما يتعلق بالثروة الحيوانية بقادس ، فقد اشتهرت بمراعيها التى يكثر بها الرتم والخروب ، وقد أشرنا الى الآثار الحسنة لهذا الثمر

---

(١٧) نفسه ٠

(١٨) مجهول ، ذكر بلاد الأندلس ، ص ٦٥ ٠

(١٩) الزهرى ، كتاب الجغرافية ، ص ٨٩ ـ مجهول ، المصدر السابق ، ص ٦٥ ٠ وبالاضافة الى الآبار والانهار اعتاد أهل قادس منذ أقدم العصور استخدام الصهاريج والجباب لاستخدام مياهها العذبة فى الرى (الزهرى ، المصدر السابق ، ص ٩٠ ، ٩٢) ٠

(٢٠) ابن الكردبوس ، المصدر السابق ص ٣٤ ٠ وقد ربط د٠ مختار العبادى بين «السواقى» وهو الموضع الذى يحتمل أن تكون المعركة التى لقى فيها لذريق مصرعه قد دارت به وبين السواقى المستخدمة لرى المزارع ٠ وربما كانت كثرة السواقى والأرحاء فى شذونة سببا فى اطلاق هذا الاسم على الموضع ٠

على البان الماعز ، فهو يكسبها طعما طيبا مسكرا [٢١] . كذلك اشتهرت قادس بتربية الضأن [٢٢] . والى جانب هذه الثروة الحيوانية كانت تتوفر بقادس مصايد الأسماك ، فقد عرفت قادس بثروتها السمكية ، وهذا أمر طبيعى لجزيرة قادس التى تحيط بها مياه البحر المحيط ، وتقترب سواحلها من مصب وادى لكة . واشهر انواع السمك فى قادس سمك التن ، ويذكر الزهرى أنه كان بقادس فى العصور السابقة على الفتح الاسلامى للأندلس طلسم يجذب سمك التن فى شهر مايه [٢٣] ، كذلك كان يتوفر ببحر شذونة اطيب العنبر الوردى [٢٤] ، وربما كان يقصد بحر شذونة البحر المحيط حيث تطل عليه سواحل كورة شذونة بما فى ذلك جزيرة قادس [٢٥] .

ومن حيث الصناعات فى قادس ، فيمكننا ان نستنتج من خلال المعلومات الشحيحة التى زودتنا بها المصادر الجغرافية عن الانتاج الزراعى بقادس قيام صناعات بسيطة كصناعة الألبان بسبب توافر الماعز والضأن ، وصناعة تجفيف العنب لاستخدامه فى صناعة الحلوى ، وكذلك صناعة النبيذ من الكروم الذى تكثر زراعته فى الجزيرة .

ونستنتج ايضا من وفرة الاشجار الصنوبرية [٢٦] التى كانت تنمو فى قادس قيام صناعة الأخشاب اللازمة لصناعة السفن ، وربما زودت قادس فى اعقاب الغارة النورمندية بدار صناعة شأنها فى ذلك شأن الجزيرة

---

(٢١) الحميرى ، الروض المعطار ، ص ٤٤٨ -

Pedro Martinez, op. cit., p. 13 - Rachel Arié, op. cit., p. 229.

(٢٢) الحميرى ، المصدر السابق ، ص ٤٤٨ .

(٢٣) الزهرى ، كتاب الجغرافية ، ص ٩٢ .

(٢٤) البكرى ، جغرافية الأندلس وأوروبا ، ص ١٢٥

(٢٥) Rachel Arié, op. cit., p. 238.

(٢٦) الحميرى ، الروض المعطار ، ص ٤٤٨

الخضراء وميورقة ([٢٧]) • ومما يؤكد ذلك الاحداث التاريخية التى مرت بها قادس بعد ذلك والتى اكدت ظهور قادس كقاعدة بحرية لاساطيل المرابطين والموحدين ، ومركز لتجمع السفن الاسلامية للجهاد فى سبيل الله ، وقد واصلت قادس اداء هذه الوظيفة حتى بعد سقوطها فى أيدى القشتاليين ، اذ احتفظت بدورها كقاعدة بحرية هامة للمسيحيين ، يغيرون منها على الأراضى الاسلامية المجاورة •

ونرجح ايضا ازدهار صناعة المنسوجات الصوفية والكتانية والحريرية بقادس ، فالصوف كان متوفرا بها لتوافر الماعز والغنم ، اما الكتان فتصلح زراعته فى التربة الرملية التى تتمثل فى تربة قادس ، واما الحرير فاغلب الظن انه كان يصنع فى قادس وذلك لتوسع اهلها فى زراعة شجر التوت الذى كان هرقلس أول من غرسه بقادس وسائر مناطق شبه جزيرة ايبيريا من ملوك اليونان بالأندلس ([٢٨]) •

ونستنتج من رواية الحميرى أن قادس اختصت بتلوين الزجاج وصباغته بمادة تستنبط من شجيرة تشبه فسيل النخيل ([٢٩]) ، ولا نستبعد ان تكون صناعة الزجاج من الصناعات المزدهرة بجزيرة قادس فى العصر الاسلامى •

واهم الصناعات التى اشتهرت بها قادس فى تاريخها الاسلامى صناعة استخراج الملح من الملاحات التى كانت تكثر بسواحلها شأن

---

(٢٧) يذكر د• حسين مؤنس ان دارا لصناعة الاسطول اقيمت بقادس زمن الامارة دون أن يشير الى المصدر الذى اعتمد عليه فى ذكر هذا الخبر (حسين مؤنس ، رحلة الأندلس) •

(٢٨) مجهول ، ذكر بلاد الأندلس ، ص ٦٦ •

(٢٩) الحميرى ، المصدر السابق ، ص ٤٤٨ •

معظم المدن الساحلية ، فقد كانت ملاحات جزيرة يابسة والقنت والمرية وقادس توفر من الملح مايكفى حاجة البلاد ([٣٠]) . ومن الأدلة على شهرة قادس كمصدر رئيسى للملح ، ان القطلان كانوا يبيعون فى القرن الخامس عشر ملح وادى ابره بالمرية ومالقة . وفى سنة ١٤٤٥م كان الجنوية ينقلون شحنات من ملح قادس الى مالقة ([٣١]) ، والى جميع انحاء الأندلس ([٣٢]) .

اما فيما يتعلق بالتجارة ، فان قادس كانت محطة هامة فى طرق التجارة منذ العصر الرومانى ([٣٣]) . وكانت المحجة العظمى الطريق الرئيسية التى تربط قادس بغيرها من المدن الكبرى كاشبيلية وقرطبة وطليطلة وسرقسطة وطركونه فاربونة ([٣٤]) . وتذكر المصادر أن قادس كانت محطة تجارية هامة فى عصر دولة بنى الأحمر أصحاب غرناطة . ومما لاشك فيه أن المكانة التجارية التى اكتسبتها قادس فى ذلك العصر ظلت قائمة طوال العصر الاسلامى ، فعن طريق قادس كان يتم تصدير الحرير الغرناطى الى تجار ايطاليا ([٣٥]) .

---

(٣٠) Lévi - Provençal, Histoire, t. III, P. 297 - Rachel Arié, op. cit. p. 237

(٣١) Rachel Arié, op. cit., P. 256.

(٣٢) Ibid. P. 256.

(٣٣) حسين مؤنس ، تاريخ الجغرافية والجغرافيين ، ص ٢٨٧

(٣٤) Rachel Arié, op. cit., p. 257.

(٣٥) Ibid. p. 255.

(٢)
الحياة العلمية بقادس

تكاد الحياة العلمية بقادس تكون معدومة ، اذ لم تكن قادس مركزا علميا متالقا مثل قرطبة او اشبيلية او طليطلة او غرناطة ، ومن الواضح ان موقعها المتطرف فى اقصى الطرف الجنوبى الغربى من الأندلس قرر مصيرها واثر تاثيرا مباشرا على دورها كقاعدة بحرية ومأوى للمغامرين من رجال البحر والمرتزقة ، بحيث اصبحت ابعد ماتكون عن المجال العلمى ، بل ان موقعها المتطرف فى هذا الركن الجنوبى الغربى من الأندلس عرضها لكوارث عديدة ، فمن غارات نورمندية الى غزوات اسبانية مسيحية متصلة ، الى ثورات داخلية متعاقبة ، ولذلك لم تكن منتجعا للعلماء ، ولا منزلا لطلاب العلم والمعرفة . ومع ذلك فقد كانت عزلتها فى ذلك الموقع المتطرف مقصدا للصوفية الذين نذروا حياتهم للجهاد او للعبادة ، وهذا يفسر أن رابطة روطة القريبة منها كانت من اهم الرباطات التى اقيمت على السواحل الجنوبية ، ولانستبعد ان يكون لقادس رابطة مماثلة ، وان كان ذلك لم يرد له ذكر فى المصادر العربية .

ومن المعروف ان ازدهار الحركة العلمية يقترن دائما بحياة الاستقرار والسلم ، فاذا افتقد الاستقرار واختل ميزان الامن ، قضى على هذا الازدهار ، ولذلك فان المصادر العربية وكتب التراجم لم تزودنا بأسماء علماء أو فقهاء من اهل جزيرة قادس . وكل ما وصلنا من هؤلاء اسمان او ثلاثة ، وحتى هذه الأسماء كانت لعلماء هجروا بلدهم قادس ، ونزلوا بمواضع أخرى أكثر تقبلا لمواهبهم ، اولهم شاعر من شعراء الزهد ذكره ابن سعيد فى «المغرب فى حلى المغرب» هو على بن أحمد الكتانى القادسى ، وقال عنه : «لقيته بالقدس على زى الفقراء، وقد صدر من الحج وانشدنى لنفسه :

ذاك العـــذار المطـــل .·. دمى عليـــه يطـــل

كانمـــا الخـــد مـــاء .·. وقد جرى فيـــه ظـــل

عقـــود صبرى عليـــه .·. مذ حـــل فيـــه تحـــل

جرت دموعى عليـــه .·. فقلت اسى وطل (٣٦)

وقد ترجم له ابن سعيد فى «اختصار القدح المعلى» (٣٧) ، وقال: « لم أر فى ضيق الخلق مثله ، يكاد يخاصم من ضجره ظله ... وكان اجتماعى به فى سنة ثلاثة واربعين (٦٤٣هـ) ببيت المقـدس » . كذلك ترجم له المقرى فى نفح الطيب ترجمة نقلها عن ابن سعيد ، ولم يزد شيئا .

ونلاحظ ان هذا العالم ترك قادس الى بيت المقدس اما رغبـة فى زيارة الاراضى المقدسة او طلبا للعلم .

أما الاسمان الاخريان فقد وردا فى كتاب الصلة لابن بشكوال (٣٨)، اولهما لاحمد بن سعيد بن على الانصارى القناطرى المتوفى فى اشبيلية سنة ٤٢٨هـ ، والثانى كامل بن احمد بن يوسف القادسى المتوفى باشبيلية سنة ٤٣٠هـ . ونلاحظ أن كليهما هجر بلده الى اشبيلية طلبا للعلم ، وتوفى هناك .

---

(٣٦) ابن سعيد ، المغرب فى حلى المغرب ، ج١ ص ٣٠٩ .
(٣٧) ابن سعيد ، اختصار القدح المعلى ، ص ٦٩ .
(٣٨) ابن بشكوال ، كتاب الصلة فى تاريـخ ائمـة الاندلس ، ج١ ، مدريد ، ١٨٨٣ ، ترجمة ٨٦ ، ١٠٢٠ .

(٣)

الآثـار الاسلامية الباقيـة

بينما ازدهرت قادس فى العصر الرومانى الى الحد الذى أصبحت آثار الرومان فيها موضوعا رئيسيا لوصف مؤرخى الأندلس وجغرافييهم، ومعالم هامة فى عمران هذه الجزيرة طوال العصور الوسطى ، فانه لم يتبق من منشآت قادس فى العصرين القوطى والاسلامى آثار لها أهميتها، ويرجع السبب فىذلك الى ان قادس تعرضت عبر حقب التاريخ الاسلامى لغزوات متواصلة وثورات متعددة وحروب أهلية طاحنـة ، بل انهـا تحولت زمن القوط الغربيين اى قبل الفتح الاسلامى الى مركز عمرانى فقير واصبحت اقرب الى القرية منها الى المدينة ([٣٩]) . وعندما استولى عليها الفونسو العاشر ملك قشتالة فى١٤ سبتمبر سنة١٢٦٢م كان عمرانها من التدهور بحيث اضطر الى اعادة بنيان دورها وتعميرها بالسكان ، واقام لها أسوارا قوية زودها بأبراج ضخمة ([٤٠]) .

وتتميز جزيرة قادس بانها تضم مركزين عمرانيين مصاقبين لها احدهمـا ميناء سانتا ماريـا el Puerto de Santa Maria وهو الاسم الذى أطلقه القشتاليون سنة ١٢٦٠ تمينا بانتصار الفونسو العاشر فى سلا، ويقع ميناء سانتا ماريا فى شمالها الشرقى ، والثـانى سان فرناندو ، ويعتبر جزءا لايتجزأ من قادس ، ويقع فى جنوبها الشرقى ، ويرتبط معها عن طريق لسان برى ، وكان هذا المركز العمرانى بداية الطريق الرومانى الاعظم المعروف بالمحجة العظمى .

وفيما يلى عرض لبعض الآثار المعمارية القليلة المتبقية فى قادس منذ ما بعد الاسترداد والتى يمكن ان تكون ذات اصول اسلامية .

---

(٣٩) Enrique Romero de Torres, Catálogo monumental, Provincia de Cadiz, Madrid, 1934, p. 249, 283.

(٤٠) Ibid. P. 317.

آثـــار رابطة روطـــه :

يحتفظ حصن روطه عند مدخل خليج قادس ببناء يعتبر الوحيد الذى يجمع بين السمة العسكرية والدينية ، وربما اقيم فى نفس الموضع الذى كانت تقوم عليه رابطة روطه التى ذكرها الادريسى ، وزارها محيى الدين بن عربى فى ٥٩٤هـ (١١٩٧م) [٤١] ٠

مسجـد القنــاطر :

يقع الموضع المسمى بالقناطر قبالة جزيرة قادس على الضفة اليمنى من مصب وادى لكة ، وعلى بعد ثمانية أميال من موقع رابطة روطه،وفى منتصف المسافة مابين شريش وقادس ٠ ويذكر الادريسى انها «تقابل جزيرة قادس ٠٠ وبينهما مجاز سعته ستة اميال ، ومن القناطر تصعد فى النهر الى رابطة روطه ثمانية اميال » [٤٢] ٠ وفى موضـع آخر يقول : « ومن شريش الى جزيرة قادس ١٢ ميلا ، فمن شريش الى القناطر ستة أميال ومن القناطر الى جزيرة قادس ستة اميال » [٤٣] ٠

وورد فى مدونة تاريخ اسبانيا العام لالفونسو العاشر العـالم أن فرناندو الثالث بعد استيلائه على اشبيلية فى سنة ١٢٤٨م افتتح شريش وقادس وشنت مريه دل البورتو وروطه ومواضع أخرى فيما بين عامى ١٢٤٨ ، ١٢٥٢م ٠ وتوفى فى هذه السنة ٠ وفيمـا يلى نص المدونـة : « بعد أن ضم الملك دون فرناندو واشبيلية استولى على شريش ومدينـة

---

(٤١) الادريسى ، ص ١٧٧ ـ

Miguel Asin Palacios, et Islam Cristianizado, Estudio del Sufismo, Madrid, 1931, P. 72.

(٤٢) الادريسى ، صفة المغرب وأرض السودان ومصر والاندلس من كتاب نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق ، ليدن ١٦٦٨ ص ١٧٧

(٤٣) الادريسى ، المصدر السابق ، ص ٢٠٦ ٠

والقلعة وبيار وشنت مريه دل بورتو وقادس التى تقع فى البحر وشلوقه وأركش ونبريشه وروطه » (٤٤) . ومن المعروف أن شنت مريه دل بورتو هو الاسم الذى اطلقه النصارى على قناطر قادس فى سنة ١٢٦٠ وذلك عقب قيام الفونسو العاشر بحملته البحرية المظفرة على سلا (٤٥) . وفى نهاية سنة ١٢٦٤م استعاد الفونسو العاشر شريش وأركش وروطه وشلوقه وشذونة بعد ان كانت قد خرجت عن طاعة القشتاليين . ومن المحتمل أن تكون القناطر من بين المواضع التى استردها الملك القشتالى بدليل ان مدونة تاريخ اسبانيا العام تشير الى أن الملك عمر ميناء سانتا مريه على أثر استعادته لشريش . وكان الفونسو العاشر يقدر اهمية الموقع الاستراتيجى لقرية القناطر ، اذ أنها بوقوعها عند مصب وادى لكة غير بعيد من مصب الوادى الكبير تصلح لأن تكون مرقبا له أهميته لساحل العدوة ، فاهتم عندئذ بتعميرها وجعل منها مدينة لها اهميتها ، وأقام فيها كنيسة عرفت بسانتا مريه كانت حصينة البنيان ، اشبه ما تكون بالرباط الاسلامى او الدير المسيحى الحصين . ومنذ ذلك الحين أصبحت مركزا عمرانيا هاما انتجعه عدد كبير من الاسبان مسلمين ونصارى ، بالاضافة الى اقوام قدموا من جنوه وشارتر وغيرهما (٤٦) . واذا رجعنا الى كتاب الأناشيد لالفونسو العاشر لانجد ما يشير الى أن موقع هذه الكنيسة كان يشغله مسجد صغير المساحة . ولكن البحث الأثرى فى بنيان هذه الكنيسة اسفر عن كشف المحراب وجزء هام من جدار القبلة . وتذكر

---

(٤٤) Cronica General de España, t. II, p. 770

والنص الاسبانى كما يلى :

«Desque el rey don Fernando ouo ganada Seuilla,
et la ouo poblada ... gano despues : Xerez, Medina, Alcala, Beier
et Sancta Maria del Puerto, et Calez que yace dentro en la mar, et
Salucar dAlpechyn, et aca Arcos et Lebrixa et Rota....)

(٤٥) Torres Balbas, la Mezquita de al Qanatir y el Santuario de Alfonso el Sabio en el Puerto de Santa Maria, al-Andalus, vol. VII 1942.

(٤٦) Ibid. pp. 157-158.

الاناشيد أن ثلاثين عاملا كانوا يحفرون فى ركن من اركان برج كـان قائما ، تمهيدا لوضع أسس الكنيسة ، فانهار عليهم البرج . ويتساءل توريس بلباس عما اذا كان هذا البرج كان هو نفسه صومعه المسجد [٤٧] .
ونستدل من نتائج البحوث الأثرية فى الكنيسة أن بيت الصلاة بمسـجد القناطر كان يشتمل على ثلاث بلاطات ، وكانت جدرانه مقامة من قطـع الحجارة غير المنتظمة ، وكان المحراب يتخذ شكل جوفة مربعة الشـكل طول كل ضلع منه ١٫٢٥ مترا . وماتزال ترى فى زاويتيه الداخليتين تيجان اعمدة من الخزف المزجج عسلية اللون وقمعية الشكل ، تزدان فى اعلاها بعقود متجاوزة لنصف الدائرة ، ومن أدنى بصفين من أوراق الأكنش . كذلك اكتشفت آثار سوارى مـن نفس المادة . هـذا وقد تـم الكشف ايضا عن آثار تدل على أن جدار المحراب كان مكسوا بلوحـات رخامية ، وكانت تعلو جوفة المحراب على ارتفاع كاف قبوة نصف كروية تتشعع فى أركان قاعدتها ضلوع بارزة تتقاطع فيما بينها . وتشبه هذه القبوة نظيرتها بكنيسة سان ميان دى لاكوجويا المستعربة San Millan de la Cogolla [٤٨] (٩٨٤م) ، واحدى قبوات مسجـد الباب المردوم وقبوة مسجد الدباغين بطليطلة . أما عقـد المحراب فمتجاوز لنصف الدائرة ، ومركزى التسنيج ، ويبدو أنه كان محاطا بافريز بارز مستطيل الشكل . وكان ينفتح فى جدار القبلة على يمين المحراب ويساره وعلى مسافة تبعد نحو متر واحد من عضادتيه بابان ، اتساع كل منهمـا ٠٫٧٤ مترا ، احدهما مسدود والثانى كان يسده جـدار برج ضخم .
وواضح أن نظام هذا المحراب يماثل نظام المحراب فى الزيادة الحكميـة بجامع قرطبة وفى المسجد الجامع بالمرية والمساجد الجامعة بتلمسـان والجزائر وتمنـال والكتبيـة بمراكش وربـاط تازى وربـاط الفتـح والمنصورة [٤٨] .

---

(٤٧) Leopoldo Torres Balbas, op. cit. p. 159.
(٤٨) Moreno (Manuel Gomez), Iglesias Mozarabes, Madrid, 1919.

ومن الثابت ان نظام المحراب فى هـذا المسجد بالفتحتين اللتين تكتنفان جوفة المحراب وبقبوته ذات الاشرطة البارزة المتقاطعة ، يؤكد انه أنشىء فى القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) (٤٩) .

ومن المعتقد أن هذا المسجد تعرض للتخريب بسبب غارات المرينيين على القناطر ، فقد ذكر صاحب روض القرطاس ان أبا يوسف يعقوب بن عبد الحق بن محيو المرينى غزا فى ربيـع الثانى سنة ٦٧٦ (سبتمبر ١٢٧٧م) غرب الأندلس مخربا كل ما كانت تقابله قواته من عمران ، فهدمت القرى ودمرت الأبراج ، وانتسفت الزروع ، وغنم ولده الأسـعد ابو يعقوب حصن روطة وشلوقه وغليانه والقناطير (٥٠) . وفى جوازه الرابع الى الأندلس فى صفر سنة ٦٨٤هـ نزلت قواته على مدينة شريش وهاجمت أحوازها وانتسفت الزروع ، وقطعت الثمار ، وخربت القرى، واغاروا على حصن شلوقة وحصن روطة (٥١) . وفى ٢١ من ربيع الأول من نفس السنة اغارت القوات المرينية على حصن القناطير واقتحمت ربضه ودخلته بالسيف «واضرموا فيه النيران ، وقتلوا الرجال ، وسبوا النساء والذرية ، وغنمـوا جميـع ماوجدوا بـه مـن البقر والغنـم والدواب » (٥٢) .

قنطرة قادس :

هناك زقاق مائى ضيق يفصل أرض الأندلس عن جزيرة صغيرة فى

---

(٤٩) Torres Balbas, op. cit pp. 161, 162.
G. Marçais, L'Architecture musulmane d'Occident, Paris, 1954, pp. 129 - 130.
وأنظر : السيد عبد العزيز سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة بالأندلس ج١ ص ٣٤٥ .

(٥٠) ابن أبى زرع ، الروض القرطاس ، ص ٢١٩ .

(٥١) ابن أبى زرع ، المصدر السابق ، ص ٢٣٢ .

(٥٢) نفس المصدر ، ص ٢٣٨ .

البحر المحيط قبالة البرهى جزيرة قادس ، يمتد فى طرفها الغربى مدينة قادس القديمة . ومن المعتقد انه كانت تقوم فوق هذا الزقاق فى عصر الامبراطورية الرومانية قنطرة لعلها كانت معبرا للطريق الرومانى الأعظم الذى كان يخترق شبه جزيرة ايبيريا من اقصى الجنوب الغربى الى اقصى الشمال الشرقى الى أن يصل الى أربونه . وكانت هذه القنطرة وقت تغلب الفونسو العاشر على المسلمين فى سنة ١٢٦٢م مخربة الأمر الذى دفعه الى اصلاحها .

ونستدل من وثائق الهبات التى أصدرها الفونسو العاشر سنة ١٢٦٨ وسانشو الرابع سنة ١٢٨٤ ، والفونسو الحادى عشر سنة ١٣٢٨ على انه كان يوجد حصن يحمى القنطرة ومنية تقع فى طرف الحصن كانت تعرف باسم منية ريحانة (٥٣) .

وكان القسم الغربى من جزيرة قادس يعرف منذ سنة ١٤٧٠م باسم جزيرة ليون نسبة الى دون رودريجو بونثى دى ليون Don Rodrigo Ponce de Leon مركيز قادس الذىأصبح مالكا لهذه المدينة بعد ان أهداها له الملك انريكى الرابع فى سنة ١٤٧٠م (٥٤) .

ويصف أورثكو Horozco بنيان القنطرة فى سنة ١٥٩٥ وهو العام الذى صنف فيه كتابه الموسوم بتاريخ مدينة قادس ، فيذكر انها بنيت من نوع من الحجر بنى اللون ، اقتطع من الموقع مما يدعو الى الاعتقاد بأن القنطرة رومانية الانشاء اقيمت على اكثر مواضع الزقاق الفاصل بين الجزيرة والبرضيقا ، وكانت تمتد على مسافة قدرها نحو ٢٥٠ مترا وعرضها ٨ر٣٥ مترا . وكانت للقنطرة ثلاثة عيون معقودة

---

(٥٣) Torres Balbás, el Castillo del Lugar de la Puente en la Isla de Cadiz, Al - Andalus, Cronica arqueologica No XXV, P. 274.

(٥٤) Ibid., P. 275.

منها عينان اكثر اتساعا من العين الثالثة ، كانت تعبر منهمـا السفن الصغيرة والكبيرة ايضا اذا ما أنزلت صواريها . وقد وصل الينا رسـم تخطيطى يرجع تاريخه الى سنة ١٦٩٠م يمثل القنطرة ولكن بعقود خمسة بين دعائم ضخمة (٥٥) .

الحصن (أو الرباط ؟)

كان من الضرورى حماية القنطرة الموصلة بين الساحل الجنوبى للأندلس وبين ساحل جزيرة قادس القريب منه وكذلك حماية الزقاق المقامة عليه القنطرة بحصن يحميها على غرار قنطرة قرطبة القائمة على نهر الوادى الكبير حيث يقوم عند مدخلها برج منيع ، وقنطرة طليطلة على وادى تاجه ، وقنطرة طريانه على الوادى الكبير باشبيليـة . وحصن قنطرة قادس يتخذ مظهر التحصينات المسيحية ، ومن المرجـح انه كان يقوم على أساس حصن اسلامى ، وبنيان الحصن المذكور مبنية من الملاط والاجر وبنيته ذات تقانه ، ومجردة تماما من الزخرفة . وقد تعرض الحصن لاصلاحات وزيادات أضيفت اليه فى العصور التاليـة لبنائه شوهت معالمه الأصلية بحيث أصبح اليـوم أشبه بمجموعـة من المساكن المتواضعة .

والحصن بناء مستطيل الشكل ٥١ × ٣٤م ، وله صحن مركزى فسيح مستطيل الشكل كذلك ، تدور به أربع أروقة سعة الرواق الواحد تتراوح مابين ٤ أمتار و٦٠ر٥ مترا . ويدعم جدرانه الخارجية فى الأركان أبراج أربعة ضخمة ، الطابق الأدنى فى اثنين منهما (بالجدار الشمالى الغربى) أصم ، ويبلغ طول جانب منهما ٥٠ر٥ مترا . أما برجا الجدار الجنوبى الغربى فمزودان بغرف سفلية ، وهما أكثر ضخامة من البرجين

---

(٥٥) Ibid., P. 276-277.

سالفى الذكر ، اذ يبلغ طول كل ضلع منهما عشرة امتار • ويتوسط كل من الجدارين الطويلين للمستطيل شرقا وغربا ركيزة ، الشرقية منهما اكثر ضخامة من الغربية ، كما يتوسط الجدار الجنوبى الغربى برج صغير يبرز من جدار السور • اما المدخل الوحيد للحصن فينفتح فى الجدار الجنوبى الشرقى على مقربة من البرج الاوسط الكبير ، وقد فتح هذا المدخل بعيدا عن وسط الجدار لتامين الدفاع عنه وليكون على مقربة من البرج الواقع فى الزاوية الشرقية من الحصن •

ويبلغ سمك الجدران نحو متر ، فى حين يبلغ بالنسبة للجدران الخارجية له مترين • وتنقسم الأورقة المحيطة بالصحن الى قطاعات صغيرة مستطيلة الشكل تؤلف غرفا ضيقة ومرتفعة يتصل معظمها فيما بينها عن طريق عقود واسعة الفتحات ، ولا منافذ لها سوى الأبواب المطلة على الصحن والتى يتسرب منها الضوء الى الداخل (٥٦) • ويسقف هذه الغرف قبوات مختلفة الشكل بعضها نصف كروية ، وبعضها الآخر متعارضة ، ومتقاطعة أو من ذوات المقاطع الثمانية • وفى أحد اركان الاروقة بالزاوية الشمالية درج يؤدى الى سطح الحصن • ويتساءل العالم الأثرى توريس بلباس عما اذا كان هذا الحصن فى الأصل بناء اسلاميا أو بناء مسيحيا ، ويميل الى القول بأنه أقيم فى ظل الحكم المسيحى فيما يقرب من سنة ١٣٢٨ على أيدى عرفاء من المسلمين أقاموه وفقا لنظام الأربطة الذى ألفوه ، وربما حاكوا فى بنائه رابطة روطة القريبة من قادس والتى كانت محجة لأهل الأندلس قاطبة • ويستند فى هذا الرأى الى ان القبوة ثمانية المقاطع لم تظهر قبل القرن الثالث عشر

---

(٥٦) L. Torres Balbas, el Castillo del Lugar de la puente en la Isla de Cadiz, PP. 271-289.

الميلادى . اما القس خيرونيمو دى لاكنثبثيون فيرجعها الى الفونسو الحادى عشر (٥٧) .

ومن الواضح ان نظام بناء حصن القنطرة اقرب من حيث التخطيط ومن حيث الأسلوب ومواد البناء الى الأبنية الاسلامية والمدجنة : فالتخطيط الى أروقة تحيط بصحن مستطيل الشكل ، وتقسيم الاروقة الى غرف متصلة فيما بينها ، ووجود أبراج وركائز خارجية تدعم جدران الحصن ، من المظاهر الشائعة فى العمارة الاسلامية فى المشرق والمغرب على السواء ، ونشهده مطبقا فى بناء القياصر والمدارس والفنادق والأربطة ، واقرب الأمثلة الاسلامية الى تخطيط حصن القنطرة بقادس رباط سوسة الذى اقامه الأمير زيادة الله بن الاغلب فى عام ٢٠٦هـ (٨٢١ـ ٨٢٢م) (٥٨) .

ولا نستبعد أن يكون الحصن المذكور رابطة اسلامية الانشاء ، اذ كانت الرباطات تقام عادة على السواحل أو فى المناطق الثغرية حيث يتجمعها زهاد المسلمين والمجاهدين فى سبيل الله ، وكانت تتخذ مراقب للحراسه . واقرب رابطة لقادس ورد ذكرها فى المصادر العربية رابطة روطة التى كانت قائمة عند مدخل قادس والتى زارها محيى الدين بن عربى فى سنة ٥٩٤هـ (١١٩٧م) (٥٩) .

---

(٥٧) Jeronimo de la Concepcion, Emporio de Orbe : Cadiz ilustrada, Amesterdam, 1690, p. 320, Apud. Torres Balbás, op. cit., p. 288

(٥٨) عن هذا الرباط أرجع الى :

Georges Marçais, Notes sur les Ribats en Berberie, dans Mélanges René Basset, t. II, Paris, 1925, pp. 395-430-Georges Marçais, L'architecture musulmane d'Occident, P. 31 - Creswell, a short account of early muslim architecture, Pelican Books, 1958, pp. 231-232,

احمد فكرى ، المدخل الى مساجد القاهرة ومدارسها ، الاسكندرية ١٩٦١ ، ص ٢٥٣ السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ، الاسكندرية ، ١٩٦٦ ص ٤٤٩ ـ ٤٥١ .

=

والمعروف ان ملوك اسبانيا المسيحية كانوا يعيدون استخدام الأبنية الاسلامية ويضيفون اليها مرافق وملحقات من أسلوب عصرهم أو وفق الأسلوب المدجن كالشأن فى قصر اشبيلية وقصر الجعفرية بسرقسطة وفى آثار أخرى عديدة .

Miguel Asin Palacios, op. cit., p. 72.



المصـــادر والمراجـع

اولا ـ المصادر العربية

١ ـ الادريسى (الشريف ابو عبد الله محمد) : صفة المغرب وارض السودان ومصر والاندلس ، مأخوذة من كتاب « نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق » ، نشر دوزى ودى غويه ، ليدن ، ١٦٦٨ .

٢ ـ ابن الأبار (ابو عبيد الله القضاعى) : الحلة السيراء ، تحقيق د. حسين مؤنس ، القاهرة ، ١٩٦٣ .

٣ ـ « « : التكملة لكتاب الصلة ، تحقيق جنثالث بلنثيه ، مدريد، ١٩١٥ .

٤ ـ ابن الأثير (عز الدين على بن احمد) : الكامل فى التاريخ ، طبعة مصوره من طبعة ليدن ١٨٦٥ ، بيروت ، ١٩٦٥ .

٥ ـ ابن ابى زرع (ابو الحسن على بن عبد الله الفاسى) كتاب الأنيس المطرب روض القرطاس فى اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، تحقيق تورنبرج ، أو بساله ١٨٤٣ .

٦ ـ « « : الذخيرة السنية فى تاريخ الدولة المرينية ، الرباط ، ١٩٧٢ .

٧ ـ ابن بصال (ابو عبد الله محمد بن ابراهيم) : كتاب الفلاحة ، نشره خوسيه ماريه مياس بييكروسا ومحمد عزيمان ، تطوان، ١٩٥٥ .

٨ ـ ابن بشكوال (ابو القاسم خلف بن عبيد الله) : كتاب الصلة فى تاريخ ائمة الأندلس ، نشره دون فرنشيسكو كوديره ، مدريد ، ١٨٨٣ .

٩ - ابن حيان (ابو مروان حيان بن خلف القرطبى) : كتاب المقتبس من انباء اهل الاندلس :

أ - قطعة خاصة بعهد الأمير عبد الله ، نشرها الأب ملشور انطونيه ، باريس ١٩٣٧ .

ب - قطعة تؤرخ للسنوات الأخيرة من عهد الأمير عبد الرحمن بن محمد الناصر لدين الله ، نشرها بدرو محمود على مكى ، بيروت ، ١٩٧٣

ج - قطعة تؤرخ للسنوات الثلاثين الأولى من عهد عبد الرحمن بن محمد الناصر لدين الله ، نشرها بدور شالميتا وف . كورينطى ومحمود صبح ، مدريد ، ١٩٧٩

د - قطعة من عهد الحكم المستنصر ، نشرها د. عبد الرحمن الحجى ، بيروت ، ١٩٦٥ .

١٠ - ابن الخطيب (لسان الدين ابو عبد الله محمد) : أعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام ، نشر وتحقيق ليفى بروفنسال ، الربا ط، ١٩٣٤ .

١١ - ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) : كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ، المقدمة والجزآن الرابع والسادس ، بيروت ١٩٦١ .

١٢ - ابن سعيد (ابو الحسن على بن موسى) : المغرب فى حلى المغرب، تحقيق د. شوقى ضيف ، ج١ ، القاهرة ، ١٩٥٣ .

١٣ - « « : أختسار القدح المعلى فى التاريخ المحلى ، تحقيق الأستاذ ابراهيم الابيارى ، القاهرة ، ١٩٨٠ .

١٤ – ابن صاحب الصلاة (عبد الملك بن احمد الباجى) : تاريخ المن بالامامة على المستضعفين بأن جعلهم الله ائمة وجعلهم الوارثين ، تحقيق د. عبد الهادى التازى ، بيروت ، ١٩٦٤ .

١٥ – ابن عذارى المراكشى (ابو عبد الله محمد) : البيان المغرب فى اخبار الأندلس والمغرب ، اربعة أجزاء ، نشرها د. احسان عباس ، والجزء الرابع منها قطعة من تاريخ المرابطين ، بيروت ، ١٩٦٧ .

١٦ – ابن عذارى المراكشى : القسم الثالث من البيان المغرب الخاص بعصر الموحدين ، تحقيق محمد ابراهيم الكتانى وآخرين ، بيروت ١٩٨٥ .

١٧ – « « « : نص جديد من البيان المغرب من عصر الموحدين ، نشره الاستاذ عبد القادر زمامه فى صحيفة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية بمدريد ، عدد ٢٠ ، مدريد ، ١٩٨٠ .

١٨ – ابن غالب (محمد بن أيوب الأندلسى) : قطعة من كتاب فرحة الأنفس ، نشرها وحققها الدكتور احمد لطفى عبد البديع ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، القاهرة ١٩٥٦ .

١٩ – ابن عبد الحكم (عبد الرحمن بن عبد الله) : فتوح افريقية والأندلس ، تحقيق البيرجاتو Albert Gateau الجزائر ، ١٩٤٧ .

٢٠ – ابن العطار القرطبى : الوثائق والسجلات ، نشر وتحقيق بدرو شالميتا وكورينطى ، مدريد ، ١٩٨٣ .

٢١ – ابن القطان (ابو الحسن على بن محمد الكتامى) : قطعة من كتاب نظم الجمان ، تحقيق د٠ محمود على مكى ، منشورات كلية الآداب ، جامعة محمد الخامس بالرباط ، تطوان ٠

٢٢ – ابن القوطية (ابو بكر محمد بن عمر القرطبى) : تاريخ افتتاح الاندلس ، نشره دون خوليان ريبيرا ، مدريد ، ١٩٢٦

٢٣ – ابن الكردبوس (ابو مروان عبد الملك التوزرى) : تاريخ الاندلس وهو قطعة من كتاب الاكتفاء فى أخبار الخلفاء ، تحقيق د٠ احمد مختار العبادى ، مدريد ، ١٩٧١

٢٤ – البيذق (ابو بكر بن على الصنهاجى) : كتاب المهدى بن تومرت ، تحقيق د٠ عبد الحميد حاجيات ، الجزائر ، ١٩٧٤

٢٥ – البكرى (ابو عبد الله بن عبد العزيز) : جغرافية الاندلس واوروبا من كتاب المسالك والممالك ، تحقيق د٠ عبد الرحمن الحجى ، بيروت ، ١٩٦٨ ٠

٣٦ – « « : المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب ، نشر دى سلان ، الجزائر ، ١٩١١ ٠

٢٧ – التجانى (ابو محمد عبد الله بن محمد): رحلة التجانى ، تحقيق الاستاذ حسن حسنى عبد الوهاب ، تونس ، ١٩٥٨

٢٨ – الحميرى (ابو عبد الله محمد بن عبد المنعم الصنهاجى) : الروض المعطار فى خبر الأقطار ، تحقيق د٠ احسان عباس ، بيروت ، ١٩٨٤ ٠

٢٩ ـ الرازى (احمد بن محمد بن موسى) : وصف الاندلس من الترجمة الفرنسية للنسخة البرتغالية ، عنى بها ليفى بروفنسال ، صدرت فى مجلة الأندلس بعنوان :

La Description de l'Espagne d'Ahmad al - Razi, al - Andalus, Vol. XXIII, Fasc. 1, 1953.

٣٠ ـ الزهرى (ابو عبد الله محمد بن ابى بكر) : كتاب الجغرافية ، تحقيق محمد حاج صادق ، دمشق ١٩٦٨ .

٣١ ـ العذرى (احمد بن عمر بن انس المعروف بابن الدلائى) : ترصيع الأخبار ، وتنويع الآثار ، والبستان فى غرائب البلدان ، والمسالك الى الممالك ، تحقيق د. عبد العزيز الاهوانى، مدريد ، ١٩٦٥ .

٣٢ ـ مجهول : ذكر بلاد الأندلس ، نشر وتحقيق لويس مولينا ، مدريد ، ١٩٨٣ .

٣٣ ـ » » : مدونة من عهد عبد الرحمن الناصر لدين الله ، نشر وتحقيق ليفى بروفنسال واميليوغرسيه غومس ، عنوانها :

Una crónica anónima de Abd al - Rahman III, al - Nasir, Madrid - Granada, 1950.

٣٤ ـ » » : اخبار مجموعة فى تاريخ الأندلس ، نشره دون لافونتى القنطرة ، Lafuente Alcántara ، مدريد ١٩٦٧ .

٣٥ ـ » » : الحلل الموشية ، تحقيق الاستاذين سهيل زكار وعبد القادر زمامة ، الدار البيضاء ، ١٩٧٩ .

٣٦ - الميدانى : مجمع الأمثال ، ج١ ، القاهرة ، ١٣٥٢هـ

٣٧ - المراكشى (عبد الواحد بن علی) : المعجب فى تلخيص انباء المغرب ، نشر وتحقيق الأستاذين محمد سعيد العريان ومحمد العربى العلمى ، القاهرة ، ١٩٤٩ .

٣٨ - المسعودى (أبو الحسن على) : التنبيه والاشراف ، ليدن ، طبعة مصورة ، بيروت ، ١٩٦٥ .

٣٩ - المقرى (احمد بن محمد التلمسانى) : نفح الطيب من غصن اندلس الرطيب ، تحقيق الأستاذ محمد محيى الدين عبد الحميد ، القاهرة ، ١٩٤٩ .

٤٠ - النباهى (ابو الحسن بن عبد الله بن الحسن المالقى) : تاريخ قضاة الاندلس ، المسمى كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا ، بيروت ١٩٨٣ (نسخة مصورة من طبعة القاهرة ١٩٤٨) .

٤١ - ياقوت (شهاب الدين ابو عبد الله الحموى) : معجم البلدان ، طبعة بيروت ، ٥ مجلدات ، بيروت ١٩٥٥ - ١٩٥٧ .

ثانيا ـ المصادر الاسبانية المسيحية

1 — Primera Crónica General de España, t. II, de la tercera reimpresión, ed. por Ramon Menendez - Pidal, Madrid, 1977

2 — Crónica de los Reyes de Castilla, ed. y trad por Antonio Garcia Martinez, Murcia, 1982.

3 — De Horozco (Agustin) Historia de la ciudad de Cadiz, Cadiz, 1845.

ثالثا ـ المراجع العربية الحديثة

أمارى (ميشيل) : المكتبة الصقلية ، نصوص تاريخية جمعها ونشرها ميشيل أمارى ، فى ١٨٥٧ ·

حسين (دكتور حمدى عبد المنعم) : التاريخ السياسى لمدينة اشبيلية فى العصر الأموى ، الاسكندرية ، ١٩٨٧ ·

« « : اضواء جديدة حول ثورات طليطلة فى عصر الامارة الأموية ، الاسكندرية ، ١٩٨٨ ·

ذنون طه (دكتور عبد الواحد) : دراسات فى التاريخ الأندلسى ، مقال عنوانه : «نظرية عصرية لعملية عبور مضيق جبل طارق ومعركة كورة شذونة » ، الموصل ، ١٩٨٧ ·

« « : دراسات أندلسية ، مقال عنوانه : «اهم المعارك الحاسمة التى كان لها دور فى انجاز الفتح » ، الموصل ، ١٩٨٦ ·

سالم (دكتور السيد عبد العزيز) : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس، بيروت ، ١٩٦٢ ·

« « : قرطبة حاضرة الخلافة فى الأندلس ، ج١ ، الاسكندرية ، ١٩٨٤ ·

« « : تاثير منار الاسكندرية فى عمارة بعض مآذن المغرب والأندلس ، صحيفة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية، عدد ٢٣ ، مدريد ١٩٨٦ ·

« « : و د· احمد مختار العبادى : تاريخ البحرية الاسلامية فى المغرب والأندلس ، الاسكندرية ·

سالم (د. السيد عبد العزيز) : المغرب الكبير ، ج٢ ، العصر الاسلامى، الاسكندرية ، ١٩٦٦ .

« « : (دكتورة سحر السيد عبد العزيز) : بنو خطاب بن عبد الجبار التدميرى ، الاسكندرية ١٩٨٩ .

« « : التاريخ السياسى لبطليوس الاسلامية ، رسالة ماجستير مقدمة لكلية الآداب ، جامعة الاسكندرية ،١٩٨٤ ،والجزء الأول المطبوع منها ، الاسكندرية ، ١٩٨٩ .

العبادى (دكتور احمد مختار) : دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس ، الاسكندرية ، ١٩٨٢ .

عبد الحكيم (دكتور محمد صبحى) : مدينة الاسكندرية ، القاهرة

عنان (الأستاذ محمد عبد الله) : دول الطوائف ، القاهرة ، ١٩٦١

« « : عصر المرابطين والموحدين فى المغرب والاندلس ،القسم الاول : عصر المرابطين وبداية الدولة الموحدية ، القاهرة ١٩٦٤ .

« « : عصر المرابطين والموحدين فى المغرب والأندلس ،القسم الثانى : عصر الموحدين وانهيار الأندلس الكبرى ،القاهرة ١٩٦٤ .

فكرى (دكتور احمد) : المدخل الى مساجد القاهرة ومدارسها الاسكندرية ، ١٩٦١ .

مؤنس (دكتور حسين) : غارات النورمانيين على الاندلس بـين سنتى ٢٢٩هـ ، ٢٤٥هـ المجلة التاريخية المصرية ، عـدد ١ ، مجلد ٢ ، مايو ١٩٤٩ .

« « : فجر الأندلس ، القاهرة ، ١٩٥٩

« « : تاريخ الجغرافية والجغرافيين ، مدريد ، ١٩٦٧ .

« « : فتح المسلمين للأندلس ، دعـوة الى ترديـد النظر فى الموضوع ، صحيفة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية ، المجلد ١٨ .

« « : رحلة الأندلس

رابعـا ـ المراجع الأوربية الحديثة

Albarran (Manuel Torron) : et Solar de los Aftasiés.

Anónimo : Cadiz, Colección España en Paz.

Anwarr Cheijne, Historia de España musulmana, Madrid.

Arié (Rachel) : España musulmana, sigos VIII - XV, Barcelona, 1982

Ballesteros (Antonio Brieta) : La toma de Salé en tiempo de Alfonso X el Sabio, al - Andalus, Vol. VIII, 1943.

Bleye (Aguado) : Manual de la historia de España, t. I, Madrid, 1947

Bosch Vila (Jacinto) : los Almorávides, Tetuan, 1954.

Codera (Francisco) : Los Beni Meruan en Merida y Badajoz, Madrid, 1917.

Creswell : A short account of early muslim architecture Pelican series, 1958.

Lévi - Provençal (E.) : Histoire de l'Espagne musulmane, 3 vols. Paris, 1950 - 1954.

Marçais (Georges) : Notes sur les Ribats en Berbérie, dans «Mélanges René Basset», t. II, Paris, 1925.

« « : L'architecture musulmane d'Occident, Paris, 1954.

Menéndez - Pidal (Ramón) : La España del Cid., t. I, Madrid, 1947

Miranda (Ambrosio Huici) : Encyclopedia of Islam, art, Kadis.

« « : Historia politica del Emperio almohade, t. I, Tetuan, 1957.

Montavez (Pedro Martinez) : Perfil del Cadiz hispano - **árabe**, ed. de la Caja de Ahorros de Cadiz, Madrid.

Moreno (Manuel Gomez) : Iglesias Mazárabes, Madrid, 1919.

Oliviera (Antonio Ramos) : Historia de España, la Edad . Media, Mexico, 1974.

Palacios (Miguel Asin) : el Islam Cristianizado, estudio del Sufismo, Madrid, 1931.

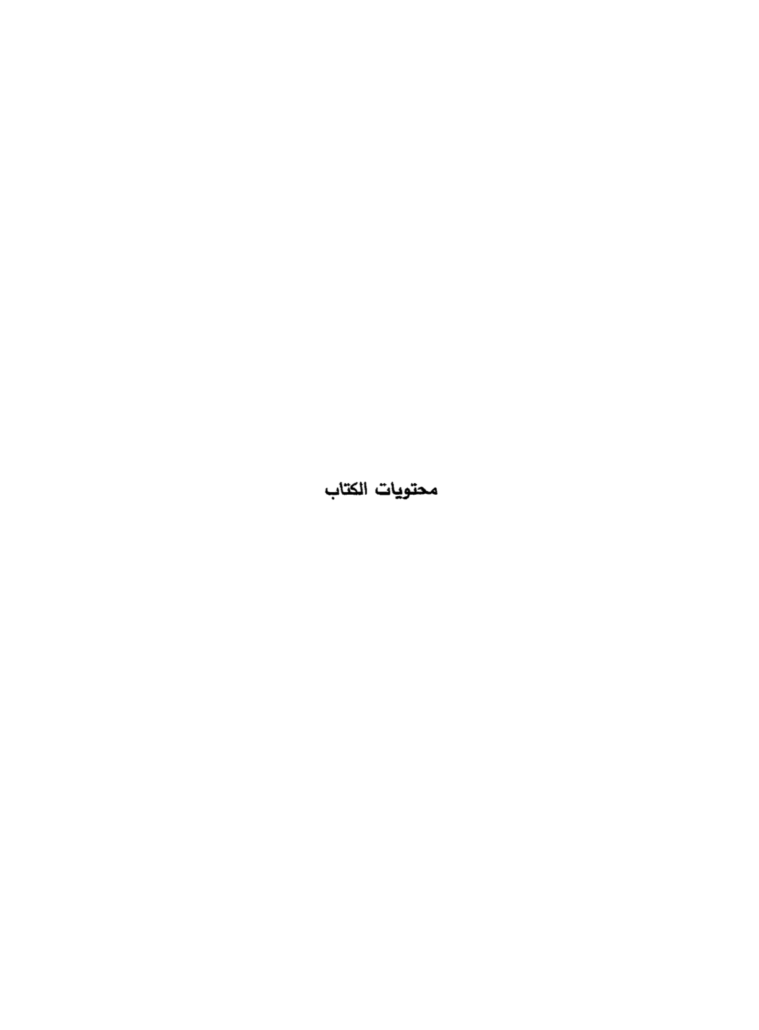
Romero de Torres (Enrique) : Cátalogo monumental, Provincia de Cadiz, Madrid, 1934.

Saavedra (E.) : Estudio sobre la invasión de los Arabes en España, Madrid, 1892.

Torres Balbas (Leopoldo) : Atarazanas Hispanomusulmanas, en Obra dispersa, Vol. 3.

« « : La mezquita de al - Qanatir y el santuario de Alfonso el Sabio en el Puerto de Santa Maria, al - Andalus, vol. VII, 1942.

» » : el Castillo del Lugar de la Puente en la Isla de Cadiz, al - Andalus, Crónica arqueologica de España, No XXV.



محتويات الكتاب

فهرس الموضوعات

الفصل الاول

التعريف بقادس

الفصل الثانى

تاريخ جزيرة قادس منذ الفتح الاسلامى للاندلس حتى سقوط

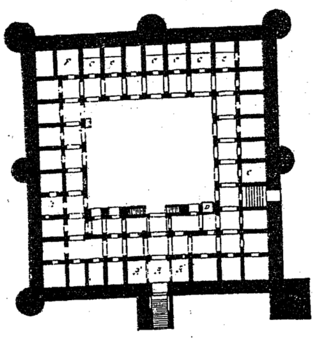
الخلافــة الامويــة

الفصل الثالث

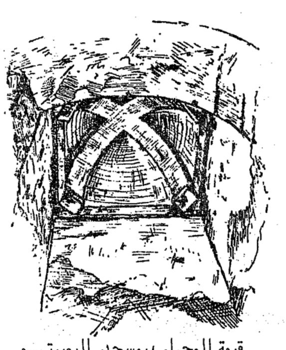
قادس ما بين قيام دويلات الطوائف وسقوطها فى أيدى القشتاليين سنة ٦٦٢هـ

الفصل الرابع

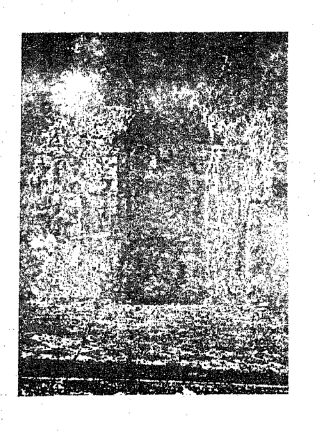
ملامح حضارية لقادس الاسلامية



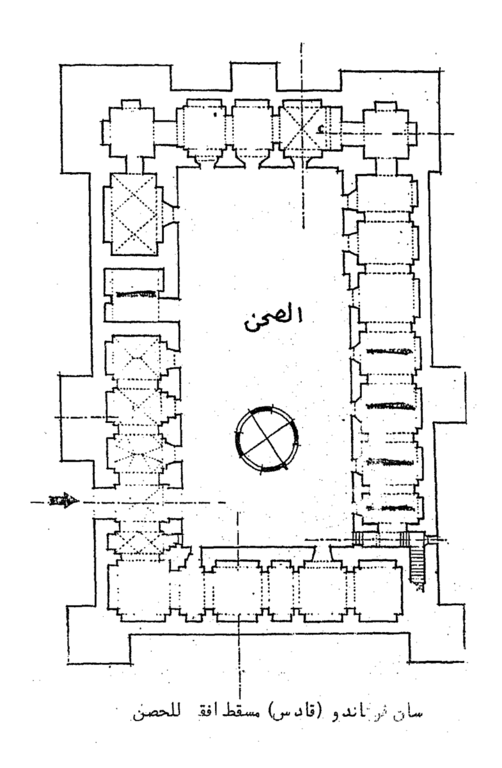
رباط سوسة بتونس



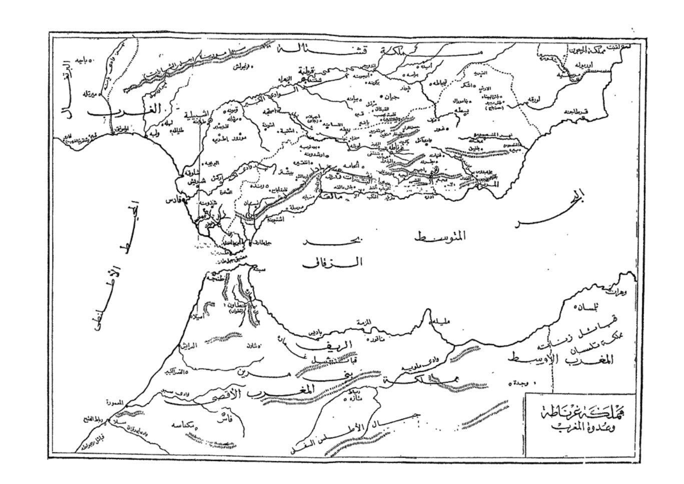
قبوة المحراب بمسجد البويرتـــو
دي سانتا ماريا (قادس) ٠

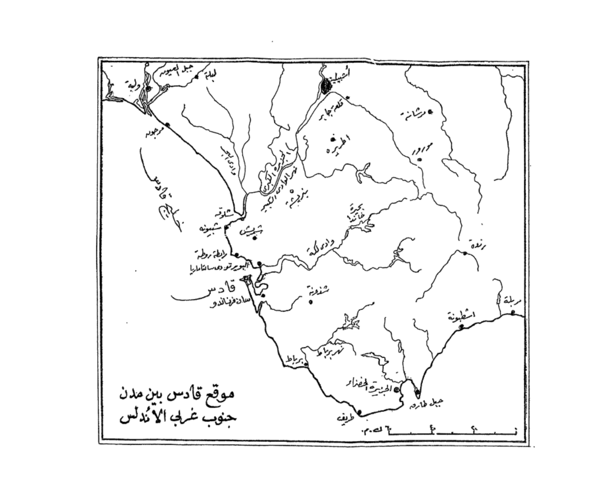


فتحة المحراب بمسجد البورتودى سانتا مارية (قادس)

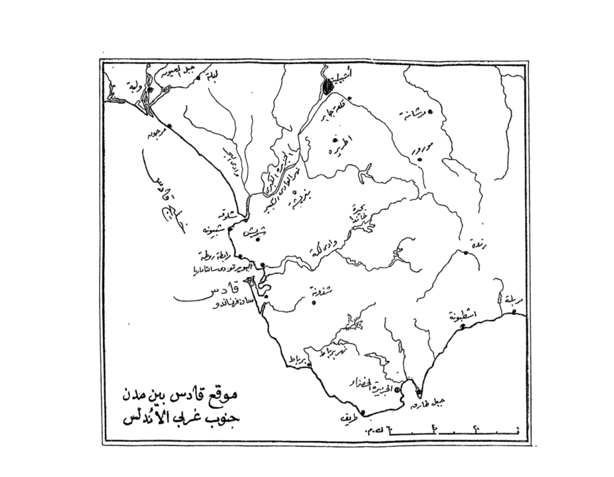


سان فرناندو (قادس) مسقط افقي للحصن


مملكة غرناطة
وعدوة المغرب
مملكة قشتالة
الغرب
البرتغال
المحيط الأطلنطي
البحر المتوسط
بحر الزقاق
قرطبة
جيان
غرناطة
مالقة
المرية
بسطة
لورقة
قرطاجنة
اشبيلية
شريش
قادس
رندة
سبتة
طنجة
أصيلا
مليلة
وهران
تلمسان
قبائل زناتة
مملكة تلمسان
المغرب الأوسط
الريف
مملكة بني مرين
المغرب الأقصى
وادي ملوية
وجدة
فاس
مكناسة
جبال الأطلس

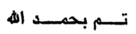


موقع قادس بين مدن جنوب غربي الأندلس



موقع قادس بين مدن
جنوب غربي الأندلس
ولبة
جبل العيون
لبلة
إشبيلية
قلعة جابر
مرشانة
الطيرة
مورور
مرجونة
وادي ليلى
الجزيرة الكبرى
نهر الوادي الكبير
بنبرشة
شلوقة
شبيونه
شريش
بحيرة خاندا
وادي لكة
رندة
رابطة روطة
البويرتو دي سانتا ماريا
قادس
سان فرناندو
شذونة
مربلة
اشطبونة
نهر برباط
برباط
الجزيرة الخضراء
جبل طارق
طريف
٦٠ ك.م.

الترقيم الدولى ٢ ـ ٠٦٠ ـ ١٥٤ ـ ٩٧٧
رقم الايداع ٨٥٦١ / ١٩٨٩


تم بحمد الله